الدار الآخرة

أسئلة وأجوبة حول القبر

الشيخ ندا أبو أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدَّارُ الآخِرَةُ

(١٢)

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ حَوْلَ القَبْرِ

للشيخ / نـدا أبو أحمد

الدار الآخرة

أسئلة وأجوبة حول القبر

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله – تعالى – وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

س: ما صحة قول القائل: دفن فلان في مثواه الأخير؟

ج: هذا قول خاطئ؛ لأن القبر ليس المثوى الأخير، إنما المثوى الأخير هي جنة نعيمها مقيم، أو نار عذابها أليم.

قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله – في "أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور" (ص ٧، ٨):

"إن الله – سبحانه وتعالى – خلق بني آدم للبقاء لا للفناء، وإنما ينقلهم بعد خلقهم من دار إلى دار، كما قال ذلك طائفة من السلف الأخيار، منهم بلال بن سعد وعمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه – فأسكنهم في هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ثم ينقلهم إلى دار البرزخ

فيحبسهم هنالك إلى أن يجمعهم يوم القيامة، ويجزي كل عامل جزاء عمله مُفصَّلاً، هذا مع أنهم في دار البرزخ بأعمالهم مدانون مكافؤون، فمكرمون بإحسانهم، وبإساءتهم مهانون، قال الله سبحانه وتعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ١٠٠]، قال مجاهد: البرزخ الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا، وعنه قال: هو ما بين الموت إلى البعث، قال الحسن: هي هذه القبور التي بينكم وبين الآخرة، وعنه قال أبو هريرة رضي الله عنه: "هي هذه القبور التي تركضون عليها لا يسمعون الصوت".

وقال عطاء الخُراساني: البرزخ: مُدَّة ما بين الدنيا والآخرة.

وصلَّى أبو أُمامة على جنازة فلما وضعت في لحدها، قال: "هذا برزخ إلى يوم يبعثون".

وقيل للشعبي: "مات فلان، قال: ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة، هو في برزخ".

وسمع رجلاً يقول: "مات فلان، أصبح من أهل الآخرة، قال: لا تقل من أهل الآخرة، ولكن قل: من أهل القبور"؛ اهـــ؛ (أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور: ص ٧- ٨).

س: ما الذي يبقى مع الميت في قبره، وما الذي يتبعه ثم يرجع ويتركه؟

بيَّن النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا، فقال كما عند البخاري: ((يتبع الميتَ ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحدٌ، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله)).

س: ما هي مترادفات القبر؟

ج: للقبر مترادفات كثيرة، منها:

- الجَدَث (بفتح الجيم والدال)، جمعه: "أجداث"، قال تعالى: {يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر: ٧، ٨].

وقد تُبدَل "الثاء" "فاء"، فيقال: "جدف".

- والرَّمْس: (بفتح الراء وسكون الميم)، جمعه: "رموس".

- الرَّيْم: (بفتح الراء وسكون الياء) جمعه: "ريوم".

يقال: "نزلتُ في رَيْم فلان ألحده فيه، أي: نزلت في قبره".

- والشَّق واللَّحْد: لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - عن القبر: ((اللحدُ لنا، والشَّق لغيرنا)).

- والحَفِير: (بفتح الحاء وكسر الفاء).

- والضَّريح: ومنه يقال: "زرتُ ضريح فلان"؛ أي: قبر فلان.

- والرَّجَم: (بفتح الراء والجيم)، جمعه: "رجام"، سمي بذلك لما يجمع عليه من الحجارة،

والرَّجم في اللغة: هي الحجارة.

- والجَنَن: (بفتح الجيم والنون الأولى)، جمعه: "أجنان"، سُمِّي بذلك لستر الميت وإخفائه فيه.

- والمِنهال: (بكسر الميم)، جمعه: "مناهيل" يقال: "دفنتُ الميت في منهال؛ أي: في القبر.

س: متى عُرِفَ الدفن في القبر؟

ج: عُرِفَ دفن الميت في قبر عند أول قتيل وُجِدَ على ظهر الأرض من بني آدم، وهو "هابيل" ابن آدم عليه السلام، فقد قتله شقيقُه "قابيل" ظُلمًا وحسدًا وانتقامًا بسبب الخلاف الذي دار بينهما على أمر زواجهما من أختيهما، وتَقبُّلِ قُربان هابيل، وعدم تَقبُّل قربان قابيل:

وجاء ذكر خبرهما في القرآن الكريم، حيث قال ربُّ العالمين: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

وبعد أن قتل قابيلُ هابيلَ، تحيَّر في أمر أخيه المقتول، كيف يواري سوءة أخيه؟ وكان أبوهما آدم غائبًا، فبعث الله غرابًا بالقُرب منهما، أخذ ينبش التُّراب بمِنقاره ورجليه؛ حتى أقام حفرةً في الأرض، ثم وضع غرابًا ميِّتًا أو قتيلاً كان معه في تلك الحُفرة، وأخذ يُثير التراب على الغُراب الميِّت؛ حتى واراه ودفنه، فتعلَّم قابيلُ من الغُراب عمليةَ الدفن، وعرف كيف يواري جسد أخيه المقتول هابيل، يُرشد إلى هذا قوله تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} [المائدة: ٣١].

وقد نقل القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية عن مجاهد أنه قال: "بعث اللهُ غرابَين فاقتتلا؛ حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر فدفنه"؛ اهـــ.

وقيل: "إن الغراب بحث الأرض على طعمه ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه؛ لأنه من عادة الغراب فِعل ذلك، فتنَبَّه قابيلُ بذلك على مواراة أخيه".

س: ما هو اسم مَلَكَي القبر؟

ج: اسمهما مُنكر ونَكير، والدليل على ذلك:

ما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا أُقْبِر الميِّتُ - أو قال: أحدُكم - أتاه مَلَكان أسودان أزرقان، يُقال لأحدهما:

المُنكر، والآخر: النَّكيرُ))؛ (وحسنه الألباني – رحمه الله – في الصحيحة: ١٣٩١)، (ورمز له بالحسن في "صحيح الجامع الصغير": ٢٥٩/١).

وجاء في حديث آخر أخرجه البيهقي وابن أبي الدنيا مُرسلاً، ووصله ابن بطَّة في "الإبانة" من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((يا عمر، كيف بك إذا أنت متَّ فانطلق بك قومُك، فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر، ثم رجعوا إليك فغسَّلوك وكفَّنوك وحنَّطوك، ثم احتملوك حتى يَضعوك فيه، ثم يهيلوا التُّراب ويدفنوكَ، فإذا انصرفوا عنك، أتاك فتَّانَا القبر: مُنكرٌ ونَكير...))؛ الحديث.

س: هل سؤال القبر وفتنته خاص بالأمة المحمدية؟ أم أنه لها ولغيرها من الأمم؟

ج: اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: أن فتنة القبر خاصة بالمؤمنين دون الكافرين، (وهو قول الحكيم الترمذي، وابن عبدالبر، والسيوطي).

قال أبو عبدالله الترمذي: إنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبَوْا كفَّت الرُّسل واعتزلوهم، وعُوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – بالرحمة إمامًا للخلق – كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧] – أُمسك عنهم العذابُ وأُعطي السَّيف حتى يدخل في دين الإسلام مَن دخل لَمهابة السَّيف، ثم يَرسخ الإيمانُ في قلبه، فأُمهلوا، فمن ها هنا ظهر أمرُ النِّفاق، وكانوا يُسرُّون الكفر ويُعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قيَّض الله لهم فتَّانَي القبر، ليستخرج سرَّهم بالسُّؤال، وليَميز اللهُ الخبيثَ من الطَّيِّب، فيثبت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويُضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء.

وقد احتج هذا الفريق: بأن السُّؤال في القبر يكونُ للأمة المحمديَّة فقط؛ وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إن هذه الأمة تُبْتلى في قبورها))، وفي رواية: ((أُوحيَ إليَّ أنكم تُفْتَنون في قبوركم))، وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة.

وقالوا كذلك: "يدل على هذا أيضًا قول الملَكَين له: "ما كنتَ تقول في هذا الرَّجل الذي بُعِث فيكم؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه عبد الله ورسوله"، فهذا خاص بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وجاء في الحديث الآخر: ((إنكم بي تُمْتحَنُون، وعني تُسألون)).

* الردُّ على الفريق الأول الذين قالوا: "إن سؤال القبر خاص بالأمَّة المحمدية":

إن استدلالَكم بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن هذه الأمة تُبْتَلى في قبورها))، وبقوله: ((أُوحي إلى أنكم تفتنون في قبوركم))، وأن هذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة، وبقول الملكين للمقبور: "ما كنتَ تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه عبد الله ورسوله"، وأن هذا خاص بالنبي - صلى الله عليه وسلم، وقولِه في الحديث الآخر: ((إنكم بي تُمتحنون، وعني تُسألون)) لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الأمم.

فإن قوله: ((إن هذه الأمة))، إما أن يراد به أمة الناس، كما قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأنعام: ٣٨]، وكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة، وفي الحديث: ((لولا أن الكلابَ أمَّة مِن الأمم لأمرتُ بقتلِها)).

وفيه أيضًا: حديث النبي الذي قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: "من أجل أن قَرصتك نَملةٌ واحدة أَحرقت أُمَّة من الأمم تُسبح الله".

وإن كان المُراد به أمَّتَه - صلى الله عليه وسلم - الذي بُعِثَ فيهم، لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم إخبارًا بأنهم مَسؤولون في قبورهم، وأن ذلك لا يختص بمَن قبلهم؛ لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم))، وكذلك إخباره عن قول الملكين: ((ما هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟))، هو إخبار لأمته بما تمتحن به في قبورها، والظاهر - والله أعلم - أن كل نبي مع أمته كذلك، وأنهم مُعذَّبون في قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم، كما يُعذَّبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة، والله - سبحانه وتعالى - أعلم".

وقال أبو عمر بن عبدالبر في كتاب "التمهيد":

"والآثار الدالة تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن، أو منافق (من كان منسوبًا إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة)، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يُسأل عن ربِّه ودينه ونبيِّه، وإنما يُسأل عن هذا أهلُ الإسلام، فيُثبِّت الله الذين آمنوا، ويرتاب المبطلون"؛ اهـ.

القول الثاني: أنَّ سؤال القبر وفتنَته عامٌّ للمُسلمين ولغيرهم (وهذا ما رجَّحه عبدُالحق الإشبيلي، وابن القيِّم، والقُرطبي، والسَّفَّاريني... وغيرهم)؛ (انظر "لوامع الأنوار البهية" للسفاريني: ٢/١٠)، ("التذكرة" للقرطبي: ص ١٤٧)، وهذا القول هو الراجح، والذي تدل عليه الأدلة

القرآنية والنبوية، قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧]، فهنا يُثبِّت الله أهل الإيمان، ويُضل الله الظالمين، وهم الكفار والمنافقون.

وقد ثبت في "الصحيح" أنها نزلت في عذاب القبر حين يُسأل: "مَن ربُّك، وما دِينك، ومَن نبيُّك؟".

وفي حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - الطويل:

"وأما الكافر إذا كان في إقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة، نزل عليه ملائكة من السماء، معهم مُسُوح..." وذكر الحديث، وفيه: "ثم تُعاد رُوحُه إلى جسده في قبره" الحديث.

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: "شهدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جنازة فذكر الحديث وقال: "وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري".

وهذا صريح في أن السُّؤال للكافر والمنافق، وأما قول أبي عمر رحمه الله: "وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يُسأل عن ربه ودينه ونبيه"، فيقال له: ليس كذلك بل هو من جملة المسؤولين، وأولى بالسؤال من غيره، وقد أخبر الله في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة؛ قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٦٥].

وقال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: ٩٢].

وقال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: ٦].

فإذا سئلوا يوم القيامة، فكيف لا يُسألون في قبورهم؟ فليس لما ذكره أبو عمر - رحمه الله - وجه "؛ اهـــ بتصرف؛ (من كتاب "الروح" لابن القيم: ص١١٢ - ١١٧).

وقد جاءت أحاديثُ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تَدل على أن الكافر وغيرَه من غير أهل الإسلام يتعرضون لفتنة القبر وسؤال المَلَكَين، ومنها:

ما أخرجه مسلمٌ عن أنس - رضي الله عنه - عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال:

((العبدُ إذا وُضِع في قَبره وتولَّى وذَهب أصحابُه حتى إنَّه لَيسمع قَرْع نِعالهم، أتاه مَلكان فأقعداه فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجل محمَّد - صلى الله عليه وسلم؟ فيقولُ: أشهدُ أنه عبدُ الله ورسولُه، فيقال: انظُر إلى مَقعدِك من النَّار أَبْدَلك اللهُ به مَقعدًا من الجنَّة، قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: فيراهما جميعًا، وأما الكافرُ أو المنافِق فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول النَّاسُ،

فيقال: لا دَريتَ ولا تَليتَ، ثم يُضربُ بِمِطرقَة من حديد ضَربةً بين أُذنَيه فيصيح صَيحةً يسمعها مَن يليه إلا الثَّقلَين))

وفي بعض رواياته قال قَتادة: "وذُكر لنا أنه يُفسح له في قَبره سبعون ذراعًا - يعني المؤمنَ - ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون".

فائدةٌ:

هناك جُملة مِن الأحاديث تَدل على أن المشركين وغيرهم من أهل الكفر والنفاق يُعذَّبون في قبورهم، ومِن هذه الأحاديث:

١- ما أَخرجه البخاري ومسلمٌ عن أبي أيوب - رضي الله عنه - قال: خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد وَجبت الشَّمس فسمع صوتًا، فقال: ((يَهودُ تُعذَّب في قُبورها)).

قال الحافظ - رحمه الله - (٣٠٩/٣): وإذا ثبت أن اليهود تُعذب بِيهوديَّتهم ثَبت تَعذيب غَيرهم من المشركين؛ لأنَّ كُفرهم بالشِّرك أشدُّ من كُفر اليهود.

٢- وأخرج الإمامُ أحمد والنَّسائي وابن ماجه عن عبدالرحمن بن حَسَنة - رضي الله عنه - قال: انطلقتُ أنا وعمرو بنُ العاص إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فخرج ومعه دَرَقَة، ثم استتر بها، ثم بال، فقلنا: انظروا إليه يَبول كما تبولُ المرأة، فسَمع ذلك، فقال: ((ألم تعلموا ما لَقي صاحب بني إسرائيل؟! كانوا إذا أصابَهم البولُ قَطعوا ما أصابَه البَول مِنهم، فنهاهُم فعُذِّب في قَبره))؛ (صحيح الجامع: ٤١٦/١).

ومعنى الحديث: أن بَني إسرائيل كانوا يَقرِضون من البول الجلدَ والثَّوب (وهو مِن الدِّين الذي شرَعه الله لهم)؛ ولذلك لما نهاهم عن فعل ذلك عذِّب في قبره بسب نهيه.

٣- وأخرج الإمامُ أحمد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: أخبرني مَن لا أتهمُ مِن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنَّه قال: بَينما رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وبلالٌ يمشيان بالبَقيع، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((يا بلال، هل تسمع ما أسمعُ؟ قال: لا والله يا رسول الله ما أسمعه، قال: ألا تَسمع أهلَ هذه القبور يُعذَّبون؟)) يعني قبورَ الجاهلية.

٤- وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أمِّ مُبَشر - رضي الله عنها - قالت: دخل عَليَّ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - وأنا في حائط مِن حوائط بني النَّجار فيه قُبور قد ماتوا في الجاهليَّة، قالت: فخرَج فسمعتُه يقولُ: ((استعيذوا باللهِ مِن عذاب القَبر، قلتُ: يا رسولَ الله،

وللقبر عذابٌ؟ قال: إنهم ليُعذَّبون في قبورهم تَسمعه البهائمُ))؛ (قال الألباني في إسناده: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه).

٥- وأخرج الإمامُ أحمد عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: "دخل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - نخلاً لبني النَّجار، فسمع أصواتَ رجال من بني النجَّار ماتوا في الجاهليَّة يُعذَّبون في قُبورهم، فخرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فَزِعًا، فأمر أصحابه أن يَتعوذوا من عذاب القبر".

وقفة:

قال السيوطي - رحمه الله - كما في "شرح الصدور"(١٤٦): "وقع في فتاوى شيخنا شيخ الإسلام عَلم الدِّين البلْقِيني: "أنَّ الميت يُجيب السُّؤال في القبر بالسريانيَّة، و لم أقف لذلك على مستند، وقال في منظومته:

وَمِنْ عَجيب مَا تَرَى العَيْنَانِ = أنَّ سُؤَالَ القَبْرِ بِالسرْيَانِي

أَفْتَى بِهَذَا شَيْخُنَا البلقيني = وَلَمْ أَرَه لِغَيْرِه بعيني

وسُئل الحافِظ ابنُ حَجَر عَن ذلك، فقالَ:

ظَاهرُ الحَديثِ أنَّه بالعَربي، قال: ويُحتَمل مع ذلك أنْ يكونَ خِطاب كل أحدٍ بِلسانه.

س: متى يكونُ سؤال القبر؟

ج: سُؤال القَبر يكونُ عقبَ الدَّفن مُباشرة، ودليل ذلك:

١- ما أخرجَه البُخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النَّبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((العَبد إذا وُضع في قَبره وتولَّى عنه أصحابُه، حتى إنه يَسمع قَرْع نِعالهم، أتاه مَلكان فأقعداه، فيقولان لَه: ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجُل...)) الحديث.

٢- وأخرج أبو داودَ والحاكِم والبَيهقي عن عثمان بن عفَّان - رضي الله عنه - قال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا فَرغَ مِن دفن الميِّت وقف عليه وقال: ((استغفروا لأخِيكم وسَلوا له التَّثبيتَ فإنَّه الآن يُسأل)).

٣- وعن أبي سعيد الخُدري - رضي الله عنه - قال: شَهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جنازَة فقال: ((يا أيُّها الناسُ، إنَّ هَذه الأُمَّة تُبْتَلَى في قُبورها، فإنَّ الإنسانَ إذا دُفِنَ فتفرَّق عنه أصحابُه، جاءه مَلَك في يده مِطراق فأقعده...)) الحديث.

تنبيه:

في الحديث الأخِير أنَّ الذي يأتي الميِّت مَلكٌ واحد، وفي بعض الأحاديث يأتيه مَلكان، فهل

هناك تعارض؟

يُجيب عن هذا القرطبي – رحمه الله – فيقول: "لا تَعارضَ في ذلك بالنِّسبة إلى الأشخاص، فربَّ شخص يأتيه اثنان معًا عند انصراف الناس ليكون أهولَ في حقِّه وأشدَّ بحسب ما اقترف من الآثام، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس تخفيفًا عليه لحصول أُنسه بهم، وآخر يأتيه مَلك واحد فيكون أخفَّ عليه وأقل في المراجعة؛ لما قدَّمه من العمل الصالح، ويحتمل أن يأتي الاثنان ويكون السَّائل أحدهما وإن اشتركا في الإتيان فتحمل رواية الواحد على هذا".

قال السيوطي – رحمه الله – في "شرح الصدور في أحوال الموتى في القبور":

"هذا الثاني هو الصَّواب، فإن ذِكر الملكَين هو الموجود في غالب الأحاديث"؛ اهـــ، والله أعلم.

س: هل سؤال وعذاب القَبر ونعيمه للبَدن فقط، أم للرُّوح فقط، أم لهما معًا؟

اختلف أهلُ العلم في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول: أن سؤال القبر للرُّوح فقط، وذهب إلى ذلك: ابنُ حزم وابن هبيرَة.

القول الثاني: أن سؤال القَبر للبدن فقط، وذهب إلى ذلك: ابنُ جَرير الطَّبري، وجماعةٌ من الحنابلة، منهم ابن عَقِيل في كتاب "الإرشاد"، وابن الزَّاغواني، وجماعة من الكرَّاميَّة.

القول الثالث وهو قول الجمهور: أن سؤال القبر وعذابه أو نعيمه يكون للرُّوح والبدن معًا، وبه قال جمهور أهل العلم، وهذا هو الرَّاجح.

قال "شارح الطحاوية" رحمه الله (ص ٤٥١):

"وليس السُّؤال في القَبر للرُّوح وحدَها كما قال ابنُ حَزم وغيرُه، وأفسدُ منه قولُ مَن قال: إنه للبدن بلا رُوح، والأحاديثُ الصَّحيحة تردُّ القولَين، وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتُعذَّب مفردة عن البدن ومتصلة به".

وقال ابن حجر في "الفتح" (٣/٣٧٧) في قصة أصحاب القَليب ووقوف النبي – صلى الله عليه وسلم – عليهم: "قد أخذ ابنُ جرير وجماعة من الكراميَّة من هذه القصة: أن السؤال في القبر يقع على البدن فقط، وأن الله يَخلق فيه إدراكًا بحيث يسمع ويعلم ويلذ ويألم".

وذهب ابنُ حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الرُّوح فقط من غير عود إلى الجسم.

وخالفهم الجُمهور فقالوا: "تُعاد الرُّوح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت في الحديث، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص، ولا يمنع من كَون الميت قد تتفرق أجزاؤه، ولأن الله تعالى قادر أن يُعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال، كما هو قادر على

أن يجمع أجزاءه، والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميِّت قد يشاهَدُ في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره ولا ضيق ولا سَعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب".

وجوابهم: أن ذلك غير ممتنع في القُدرة، بل له نظير في العادة وهو النَّائم، فإنه يجد لذَّة وألَمًا لا يدركه جليسه، بل اليَقِظان قد يُدرك ألَمًا أو لذَّة لما يَسمعه أو يُفكر فيه ولا يُدرك ذلك جليسه، وإنما أتى الغلطُ من قياس الغائب على الشاهد، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظَّاهر أن الله تعالى صَرف أبصار العباد وأسماعَهم عن مشاهدة ذلك، وسَتره عنهم إبقاءً عليهم ليتدافنوا، وليست للجوارح الدنيويَّة قُدرة على إدراك أمر الملكوت إلا من شاء الله، وقد ثبت بالأحاديث ما ذهب إليه الجمهور:

كقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنه لَيسمع خَفْق نِعالهم)).

وقوله: ((فيَضربانه بين أُذنيه)).

وقوله: ((فيُقعدانه تَختلف أضلَاعه)) كلُّ ذلك من صفات الأجساد؛ اهـــ.

وقفةٌ:

ذهب أبو الهُذيل ومَن تبعه إلى أن الميِّت لا يَشعر بالتَّعذيب ولا بغيره إلا بين النَّفختَين.

قالوا: "وحاله كحال النَّائم أو المَغشي علَيه لا يحسُّ بالضَّرب ولا بغيره إلا بعد الإفاقة".

والأحاديث الثابتة في السؤال حالة تولي أصحاب الميِّت عنه تردُّ عليهم.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

"فلتعلم أن مذهبَ سلف الأمَّة وأئمتها أن الميِّت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يَحصل لرُوحه وبدنه، وأن الرُّوح تَبقى بعد مُفارقة البَدن مُنعَّمة أو مُعذبةً، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النَّعيم أو العذابُ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أُعيدت الأرواحُ إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لربِّ العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى" (الروح: ص ٦٩).

ويقول ابن القيم أيضًا كما في كتاب "الرُّوح" (ص ٨٥، ٨٦):

" إن الله سبحانه جعل الدُّور ثلاثًا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها، وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكامَ دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعًا لها؛ ولهذا جعل أحكامه الشَّرعية مرتبة على ما يَظهر من حركات اللِّسان والجوارح، وإن أَضمرت النُّفوس خِلافه، وجعل أحكام البَرزخ على الأرواح، والأبدان تبعًا لها، فكما تَبعت الأرواحُ الأبدانَ في أحكام الدنيا، فتألمت بألمها والتذَّت براحتها، وكانت هي التي

باشرت أسباب النَّعيم والعذاب تَبِعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنَّعيم، فالأبدانُ هنا ظاهرة والأرواح خفيَّة، والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة، والأبدان خَفيَّة في قبورها تجري أحكام البَرزخ على الأرواح فتَسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتَسري إلى أرواحها نَعيمًا أو عذابًا، فأَحِطْ بهذا الموضع عِلمًا واعْرفه كما يَنبغي يزل عنك كل إشكال يُورد عليك من داخِل وخارِج، وقد أَرانا اللهُ سُبحانه بلُطفه ورحمتِه وهدايتِه مِن ذلك أُنموذجًا في الدُّنيا من حال النَّائمين، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً، والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيرًا مُشاهدًا، فيرى النائم في نومِه أنه ضُرب فيصبح وأثرُ الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شَرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فِيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش، ويدافع كأنه يَقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحُكم لما جرى على الرُّوح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحسَّ، فإذا كانت الرُّوح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع، فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تَجرُّد الرُّوح هناك أكملُ وأقوى، وهي مُتعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحُكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرًا باديًا أصلاً، ومتى أعطيتَ هذا الموضع حقَّه تبيَّن لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسَعته وضمِّه، وكونه حفرةً من حفر النار أو روضةً من رياض الجنة، مطابقٌ للعقل، وأنه حقٌّ لا مِريةَ فيه، وأن من أشكَل عليه ذلك فمن سوء فَهمه وقلَّة علمه أُتِي، كما قيل:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحًا = وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

وأَعجبُ من ذلك أنك تجد النائِمَين في فِراش واحدٍ، وهذا رُوحه في النَّعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا رُوحُه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبرٌ بما عند الآخر، فأمر البرزخ أعجب من ذلك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في "مجموع الفتاوى" (٢٨٢/٤) لَمَّا سُئل عن هذه المسألة:

"الحمد لله ربِّ العالمين، بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعم النفس وتعذَّب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدنُ متَّصل بها.

فيكون النَّعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للرُّوح منفردة عن البدن.

واستدل شيخ الإسلام – رحمه الله – بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – في حال المُعَذَّبين في القبر: ((ثم يُضْرَب بمِطرقة من حديدٍ ضربة بين أُذنيه، فيصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين))؛ (أخرجه البخاري ومسلم).

والضَّرْبُ بين الأُذنين يكون للبدن، فيحصل الألم للرُّوح والبدن.

وعند التِّرمذي: ((ثم يُقالُ للأرض: الْتَئمي عليه، فتلتئم عليه، حتى تختلفَ فيها أضلاعُه، فلا يزال مُعذَّبًا حتى يَبعثه الله من مَضجعه ذلك)).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وفي هذا الحديث اختلاف أضلاعه، وغير ذلك، مما يبين أن البدن نفسه يُعذَّب.

وذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – جملةً من الأحاديث تدلُّ على هذا المعنى ثم قال: ففي هذه الأحاديث ونحوها اجتماع الروح والبدن في نعيم القبر وعذابه.

* وأما انفراد الرُّوح وحدها:

فقد أخرج النسائي بسند صحيح عن كعب بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يعلقُ في شَجر الجنَّة، حتى يَبعثه الله – عز وجل – إلى جَسده يوم القيامة))، وقوله: "يعلُقُ" (بالضم) أي: يأكل، وقد نقل هذا في غير هذا الحديث.

ثم قال شيخُ الإسلام: فقد أخبرت هذه النُّصوص أن الرُّوح تنعم مع البدن الذي في القبر إذا شاء الله، وإنما تنعم في الجنة وحدها، وكلاهما حقٌّ.

وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب "ذِكر الموت" عن مالك بن أنسٍ – رضي الله عنه – قال: "بلغني أن الرُّوح مُرسلة تذهب حيث شاءت".

ومما يدل على أن عذاب القبر يقع على الروح والبدن أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حدَّث كما في "صحيح البخاري" عن أهل الكبائر ممَّن يُعَذَّبون في قبورهم، فكان من جملة ما ذكر من عذابهم: ((أنَّ أحدهم يُشَرشَر شِدقُه حتى قَفاه، ومنخَرُه حتى قفاه، وعيناه حتى قفاه))، وهذا يكون في البدن، وكذلك هناك من يشدخ رأسه... وغير ذلك ممن ذكرهم النبي في الحديث.

س: هل هناك مَن يسمع عذاب أهل القبور؟

ج: إن الله تبارك وتعالى إذا شاء أطْلَعَ بعضَ عباده في دار الدنيا على عذاب أهل القبور، وقد أعطى الله رسوله القدرة على سماع المعذبين في قبورهم؛ ففي الحديث الذي يرويه مسلم في

"صحيحه" عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال: بينما النبي – صلى الله عليه وسلم – في حائط لبني النجَّار على بَغلة له، ونحن معه، إذ حادت به[1] فكادت تُلقيه، وإذا أقبُرٌ ستَّة أو خمسة أو أربعة، فقال: ((مَن يعرف أصحابَ هذه الأقبُر؟)) فقال رجل: أنا، قال: ((فمتى مات هؤلاء؟)) قال: ماتوا في الإشراك، فقال: ((إن هذه الأمُّة تُبتلى في قُبورها، فلولا ألا تدافنوا[2] لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القَبر الذي أسمع منه)).

وفي "صحيحي البخاري ومسلم" و"سنن النسائي" عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: خرج رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بعدما غَربت الشَّمس، فسَمع صوتًا، فقال: ((يَهودُ تُعذَّب في قبورها)).

ويدل على سماع الرَّسول – صلى الله عليه وسلم – للمعذَّبين في قبورهم الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم في "صحيحيهما" عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وفيه: أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مرَّ بقبرين، فقال: ((إنهما ليُعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير...)) الحديث.

* وعذابُ القبر تَسمعه البهائم أيضًا، وقد مرَّ بنا في الحديث السابق، والذي رواه مسلم عن زيد بن ثابت: "بينما النبي – صلى الله عليه وسلم – في حائط لبني النَّجار على بغلة له ونحن معه؛ إذ حادت به فكادت أن تلقيَه، وإذا أقبُر سِتة أو خمسة أو أربعة...".

قال القرطبي – رحمه الله – في هذا الحديث، كما جاء في كتاب "التَّذكرة" (ص ١٦٣):

وإنما حادَت به البغلة لَمَّا سمِعت من صَوت المعذَّبين، وإنما لم يسمعه من يَعقل من الجن والإنس؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر)).

وفي "الصحيحين" عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "دخلتْ عَليَّ عجوزٌ من عَجائز يهودِ المدينة، فقالت: إن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، قالت: فكذَّبتُها، ولم أنعم أن أصدقها، قالت: فخرَجَت، ودخل عليَّ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فقلتُ: يا رسول الله، إن عجوزًا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، قال: صَدَقَت، إنهم يُعذَّبون عذابًا تسمعه البهائم كلُّها، قالت: فما رأيتُه بعدُ في صلاة إلا يَتعوَّذ من عذاب القبر".

قال ابن القيم كما في كتاب "الروح" (ص ٧٢): "وقال بعض أهل العلم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مَغَلَت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالإسماعيلية، والنُّصَيْرِيَّة،

(١) حادت به: أي مالت عن الطريق ونفرت.

(٢) ألا تدافنوا: أي مخافةَ ألا تدافنوا.

والقَرامِطة من بني عُبيد... وغيرهم الذين بأرض مصر والشام، فإن أصحاب الخيل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى، قال: فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدَثَ لها ذلك فزعًا وحرارة تذهَب بالمغل[1].

وقد قال عبدالحق الإشبيلي:

"حدثني الفقيه أبو الحكم بن برخان – وكان من أهل العلم والعمل – أنهم دَفنوا ميِّتًا بقريتهم في شرق إشبيليَّة، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحيةً يتحدَّثون ودابَّة ترعى قريبًا منهم، فإذا بالدابَّة قد أقبلت مُسرعةً إلى القبر، فجعلت أُذنَها عليه كأنها تسمع، ثم ولَّت فارَّةً، ثم عادت إلى القبر، فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع، ثم ولَّت فارَّة، فعلت ذلك مرَّة بعد أُخرى، قال أبو الحكم: فذكرتُ عذاب القبر، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنهم ليُعذَّبون عذابًا تسمعه البهائم)) (الروح: ص ٧٠، ٧١).

س: هل يصل نعيم أو عذاب القبر لمن أكلته السِّباع، أو مات غَريقًا، أو حريقًا، أو مصلوبًا ويجري عليه ما يجري على المقبور في قبره؟

ج: قال ابن القيم – رحمه الله – كما في كتاب "الروح" (ص ٧٨):

"ومما ينبغي أن يُعلم أنَّ عذاب القبر هو عذابُ البرزخ، فكل مَن مات وهو مستحقٌّ للعذاب ناله نصيبُه منه قُبِرَ أو لم يُقْبر، فلو أكلته السِّباع، أو أُحرق حتى يصير رَمادًا، ونُسف في الهواء، أو صُلِب، أو غَرِق في البحر وصل إلى رُوحه وبدنِه من العذاب ما يصل إلى القبور".

وقال الإمام ابن القيم أيضًا كما في كتاب "الروح" (ص ٩٨، ٩٩):

"إنه ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، وقال تعالى: {وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ١٠٠]، وهذا البرزخ يُشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمِّي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق؛ فالمصلوب والحَرِيق والغَرِيق وأكيل السِّباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النَّعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادًا، وذرِّي بعضُه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، فأوصى بَنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم، فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله: ما حملك على ما

(١) المغل: مغص يصيب الدواب إذا أكلت التراب مع العلف.

فعلتَ؟ فقال: خشيتُك يا ربِّ وأنت أعلمُ، فما تلافاه أن رحمَه[1]، فلم يَفُت عذاب البَرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال، حتى لو عُلِّق الميِّت على رُؤوس الأشجار في مهابِّ الرِّياح لأصاب جسدَه من عذاب البَرزخ حظُّه ونصيبه، ولو دُفن الرجل الصالح في أتون مِن النار لأصاب جسدَه من نعيم البرزخ ورَوحه نصيبُه وحظُّه، فيجعل الله النار على هذا بَردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم وموادُّه مُنقادة لربها وفاطرها وخالقها يُصرِّفها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده، بل هي طَوع مشيئتِه مذلَّلة مُنقادة لقُدرته، ومَن أنكر هذا فقد جَحد ربَّ العالمين وكفر به وأنكر ربوبيَّته".

س: هل النار التي في القبر من نار الدنيا؟

يُجيب عن هذا ابن القيم – رحمه الله – حيث قال كما في كتابه "الروح" (ص ٨٩):

"إن النار التي في القَبر والخضرة ليست مِن نار الدنيا ولا من زُروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها، وهي أشدُّ من نار الدنيا، فلا يحسُّ به أهل الدنيا، فإن الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حرًّا من جمر الدنيا، ولو مسَّها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من هذا أن الرَّجلين يُدفنان أحدهما إلى جنب الآخر، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرُّها إلى جاره، وذلك في رَوضة من رياض الجنة لا يصل رَوْحُها ونَعيمها إلى جارِه، وقُدرة الربِّ تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا اللهُ من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مُولعة بالتكذيب بما لم تُحط به علمًا إلا من وفَّقه الله وعصمه، فيُفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التَّنُّور، فإذا شاء الله سبحانه أن يُطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيَّبه عن غيره، إذ لو اطَّلع العِباد كلُّهم لزالت كلمةُ التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في "الصحيحين" عنه صلى الله عليه وسلم: ((لولا أن لا تَدافنوا لدعوتُ اللهَ أن يُسمِعَكم من عذابِ القبر ما أسمعُ))".

وقال ابن القيِّم أيضًا كما في "الروح" (ص ١٠٠):

"عذاب البرزخ ونعيمُه أول عذاب الآخرة ونعيمها، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك"، كما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة الصحيحة الصَّريحة في غير موضع دلالة صريحة، كقول النبي

(١) قصة هذا الرجل الذي أوصى بنيه بحرق جثته بعد موته وتذريتها في البر والبحر مروية في "الصحيحين" وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم.

صلى الله عليه وسلم: ((فيُفتح له بابٌ إلى الجنَّة، فيأتيه من رَوحها ونعيمها))، وفي الفاجر ((فيُفتح له بابٌ إلى النارِ، فيأتيه من حرِّها وسمومِها))".

ومعلوم قطعًا أن البدن يأخذُ حظَّه من هذا الباب كما تأخذ الرُّوح حظَّها.

س: ما هو النعيم الذي ينتظر المؤمن في قبره، والعذاب الذي ينتظر غيره من العصاة؟

فالمؤمن ينتقل في قبره من نعيم إلى نعيم.

فأول نعيم يلقاه في قبره أن الله - جل وعلا - يُثبِّته عند سؤال الملكين؛ قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧].

ويرى المؤمنُ في قبره (النَّارَ) التي وقاه اللهُ منها، ويرى مَقعده ومكانَه في الجنَّة، ويُنوِّر الله له قبرَه، ويفسح له في قَبره، بل وينامُ المؤمن في قبره أطيَب نَومة، ويكون في قِمَّة شَوقِه لمن يبشر أهله بالنعيم الذي يجده في قبره.

قال - صلى الله عليه وسلم - كما في "مسند الإمام أحمد": ((لما أصيب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحَهم في جوف طَير خُضر تَرِد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلقة في ظل العرش، فلمَّا وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومَقيلهم، قالوا: من يُبلغ إخواننا عنا أنَّا أحياء نُرزق، لئلَّا يزهدوا في الجهاد، ولا يَنْكلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أُبلِّغُهم عنكم))؛ (صحيح الجامع: ٥٢٠٥).

بل إن أعمالَه الصالحة تُمثَّل له وتُؤنسه في قبره، كما جاء في حديث البراء: ((أنه يمثلُ له رَجل حسنُ الوجه حسنُ الثياب طيِّبُ الرِّيح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك، أبشر برضوانٍ مِن الله، وجنَّات فيها نَعيم مُقيم، هذا يَومُك الذي كنتَ تُوعد، فيقول له: وأنت فبشَّرك اللهُ بخير، مَن أنت فوجهُك الوجهُ يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملُك الصَّالح)).

بل إنَّ الله يملأ عليه قبرَه خضرًا إلى يوم يُبعثون، كما جاء في الحديث: ((... ويُفسح له في قبرِه ويُملأ عليه خضرًا إلى يوم يُبعثون)).

ويُفرش له قبره من الجنَّة، كما في حديث البَراء: ((فينادي منادٍ من السَّماء: أنْ صَدق عبدي، فأفرِشُوه من الجنَّة، وألبسوه من الجنة)).

ويُبشَّر بصلاح وَلده في قبره، قال مجاهد: "إن الرَّجل ليُبشَّر بصلاح ولده في قبره".

أما الصِّنف الآخرُ فينادَى عليه من السماء: أنْ كذَب عبدي، ويا له من خزي! ويا له من عذاب! ثم يُضيَّق عليه قبرُه حتى تَختلفَ أضلاعُه، ويَمتلئ عليه قبرُه ظُلمةً، ويُفرش له قَبرُه من

النارِ، ويُسلَّط عليه التِّنِّين الذي يَلْسَعه ويَنهشُه، بل ويُضرب بمِطراقٍ حتى يَصير تُرابًا، ثم يُعيده الله كما كان، ويمثل له عمله في قبره، كما جاء في حديث البراء: ((ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، فيقول: أنا عملُك الخبيثُ)) فنسأل الله العفو والعافية.

س: هل يتنوع عذابُ القبر، أم أنه ثابتٌ لا يتغيَّر؟

ج: عذاب القبر يتنوع من مقبور لآخر:

فهناك من يُضرب بمِطراق من حديد، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري: ((ثم يُضربُ بمطراق من حديدٍ بين أُذنَيه، فيصيح صَيحةً فيسمعها مَن عليها غير الثَّقلين))، وعن أحمد: ((ثم يُقيَّض له أعمى أَصمُّ أبكمُ في يده مِرزبَّة لو ضُرب بها جبلٌ كان تُرابًا)).

وهناك من تَنهشه الحيَّاتُ العظيمة، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمدُ وابن حبَّان والدَّيلَمي: ((يُسلط على الكافر في قبره تسعةٌ وتسعون تِنِّينًا تَنهشه وتَلدغُه حتى تقومَ الساعةُ، فلو أن تنينًا[1] منها نفخت في الأرض ما أنبت خضرًا)).

وهناك مَن يُضيَّق عليه القبرُ حتى تختلف أضلاعُه.

وهناك مَن يُفرَش له من النار.

وهناك مَن يُمثَّل له عملُه الخبيثُ على هيئةِ رجل قَبيح الوجه والثِّياب مُنتن الرِّيح.

وهناك مَن يُشرشَر شِدقُه ومنخرُه وعينُه إلى قفاه بالكلُّوب (الكذَّاب).

وهناك مَن يَسبح في بحر الدَّم، ويُلقم الحَجرَ (آكلُ الرِّبا).

وهناك مَن يُحبسون في تَنُّور وتُقاد عليهم النار أسفل منهم (الزناة والزواني).

وهناك مَن يُثلَغ رأسُه بالحَجر (الذي ينام عن الصَّلاة المكتوبة، ويَهجر القُرآن بعد تعلُّمه).

وهناك مَن تَشتعل عليه الشَّملةُ نارًا في قبره (الغلول من الغنيمة).

وهناك مَن يُعلَّق بعرقُوبه مُشقق شدقه (الذين يفطرون قبل تحلة صومهم).

وهناك مَن تَنهش الحيَّات ثديها (التي تمتنع عن إرضاع الأولاد بغير عذر).

س: هل عذاب القبر دائم أم مُنقطع؟

ج: قال الإمام ابن القيِّم: جوابها له نوعان:

النَّوع الأول: نوع دائم:

---

(١) التنين: الحيَّة العظيمة.

ويدل على دوامه قوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر: ٤٦]، ويدل عليه ما تقدم في حديث جابر بن سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه: ((فهو يُفعل به ذلك إلى يوم القيامة)).

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - في قصة الجريدَتَين: ((لعلَّه يُخفف عنهما ما لم يَيبَسَا))، فجعل التَّخفيف مُقيَّدًا بمُدَّة رُطوبتهما فقط.

وفي حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((ثم أتى على قوم تُرضَخ رؤوسهم بالصَّخر، كلما رُضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء)) وقد تقدَّم.

وفي "الصحيح" في قصة الذي لَبِس بُردَين وجعل يمشي يَتبختر فخسَف اللهُ به الأرض، فهو يَتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: ((ثم يُفتح له بابٌ إلى النَّار، فينظُر إلى مَقعده فيها حتى تَقوم الساعة)).

رواه الإمام أحمد، في بعض طُرقه: ((ثم يُخرق له خرق إلى النَّار، فيأتيه مِن غمِّها ودُخَانها إلى يوم القيامة)).

النوع الثاني: إلى مدة ثم ينقطع:

وهو عذاب بعض العُصاة الذين خفَّت جرائمهم فيعذب بحسب جُرمه، ثم يُخفَّف عنه كما يُعذَّب في النار مدَّة، ثم يَزول عنه العذاب، وقد يَنقطع عنه العذابُ بدُعاء، أو صدقةٍ، أو استغفارٍ، أو ثواب حجٍّ، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم[1]، وهذا كما يشفع الشافع في المُعذَّب في الدنيا، فيخلص من العذاب بشفاعته، ولكن هذه شفاعة قد لا تكون بذلك بإذن المشفوع عنده، والله - سبحانه وتعالى - لا يتقدم أحد بالشَّفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له، ولا تغتر بغير هذا، فإنه شرك وباطل يتعالى الله عنه، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥]، {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}[الأنبياء: ٢٨]، {مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ} [يونس: ٣]، {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ}[سبأ: ٢٣]، {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الزمر: ٤٤]؛ (الروح: ص ١١٩، ١٢٠، المسألة الرابعة عشرة).

ويقول الحافظ ابن حَجر رحمه الله:

---

(١) هذا الكلام فيه نظر، فقد ذهب ابن القيم إلى وصول ثواب القراءة من الغير للميت وهذا مرجوح، والراجح: أنها لا تصل.

"والعذاب يستمر إذا كان العبد كافرًا أو منافقًا نفاقَ كُفر، وإن كان مسلمًا عاصيًا فيختلف باختلاف كِبَر المعصية وصِغَرِها، وحصول العفوِ عن بعض العصاة دون بعض، فقد يُعذَّب بعضُ العصاة، وقد لا يستمر التعذيبُ على بعض العصاة، وقد يُرفع عن بعض".

وهذا ما قرَّره ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (ص ٤٠١) حيث أجاب عن السؤال السابق فقال: جوابه: أنه نوعان: الأول: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦].

وكذلك في حديث البرَّاء بن عازب في قصة الكافر: ((ثم يُفتح له بابٌ إلى النار، فينظرُ إلى مَقعده فيها حتى تقوم الساعة))؛ (رواه أحمد في بعض طرقه).

الثاني: أنه مدَّة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفَّت جرائمهم، فيُعذَّب بحسب جُرمه ثم يُخفَّف عنه.

إشكال والردُّ عليه:

مرَّ بنا أن الكافر والمنافق يستمر عذابه إلى يوم القيامة ولا يتوقف، كما قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر: ٤٦]، لكن أليس هذا يتعارض مع قوله تعالى حكاية عن الكافرين: {يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}[يس: ٥٢]؛ حيث بيَّنت الآية أنهم كانوا نائمين لا يشعرون بشيء.

والردُّ على هذا كما قال أهل العلم: إن هذه النومة تكون بين النفختين.

قال الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسيره هذه الآية: (١٠/٤٥٠):

"هؤلاء المشركون لما نُفخ في الصُّور نفخة البعث لموقف القيامة فرُدَّت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها، وذلك قوله تعالى حكاية عنهم: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا} [يس: ٥٢]، وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين".

وقال العلامة الشِّنقيطي في "أضواء البيان" (٦/٤٨٩):

"والتحقيق أن هذا قول الكفَّار عند البعث، والآية تدل دلالةً لا لَبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث، كما قال غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت، يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}، أي: هذا البعث بعد الموت"؛ اهـــ.

* وقد بيَّن النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – أن هناك مدَّة من الزمان بين النَّفختين:

فقد أخرج الإمام مُسلم من حديث أبي هُريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((ما بين النَّفختين أربعون))، قالوا: يا أبا هُريرة، أربعون يومًا؟ قال: أَبَيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أَبَيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: ((أبَيت، ويبلَى كل شيء من الإنسان إلا عَجب ذَنَبه، فيه يُركَّب الخَلق".

وفي هذا الحديث دلالة على أنهم يموتون بين النَّفختين مِقدار أربعين، و لم تحدد تلك الأربعون.

ويدل على ذلك أيضًا الحديث الذي أخرجه البُخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قال: ((لا تُخيروني على موسى، فإن الناس يُصعَقُون يوم القيامة، فأُصعق معهم، فأكونُ أوَّل من يُفيق، فإذا بموسى باطشٌ بجانب العرش، فلا أَدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله)).

إذًا الآيات والأحاديث الدَّالَّة على استمرارِ العذاب من باب العُموم، وقد خُصِّصت بآية "يس" والأحاديث السَّابقة الذِّكر في هذا القول.

مُلاحظة:

ذهب بعضُ أهل العلم إلى أن العذاب مُستمر غير مُنقطع إلى قيام الساعة، وليس هناك نَوم.

والمقصود من الآية: أن الكُفَّار إذا عاينوا جهنم وأنواعَ عذابها صار عذابُ القبر في جنبها كالنَّوم، ولكن المعنى الأول أظهرُ وأرجح.

س: ماذا يُعْرض على الميت في قبره؟

ج: والجواب أنه يعرض عليه ويشاهد مَقعده بالغَداة والعَشيِّ.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مَقعده بالغَداة والعشيِّ، إن كان من أهل الجنَّة فمِن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقالُ: هذا مَقعدُك حتى يَبعثَك الله يوم القيامة)).

س: ما الحكمة من عذاب القبر ونعيمه؟

ج: هناك مجموعة من الحِكَم من عذاب القبر ونعيمه، منها:

١- إظهارُ فضل الله تعالى على عباده المؤمنين الصالحين في تنعيمهم في الحياة البرزخِيَّة، وإذلالُ وتعذيب المُكذِّبين العاصين والعياذ بالله.

٢- إظهار قُدرة الله تعالى في تَعذيب العصاة والكافرين، وتَنعيم المؤمنين الصادقين في القبر دُون أن يَشعر بذلك سائرُ البَشر.

٣- أن المُكلفين عندما يَعلمون أن هناك عذابًا في القَبر أو في الحياة البرزخِيَّة، فإن ذلك يكون رادعًا ومانعًا لهم عما يَسوء ويَشين فِعله في الآخرة.

٤- التحذير من بعض الذنوب والمعاصي، والتي يكون لها عُقوبات خاصَّة تناسبها، كعدم التنزُّهِ من البول، والنَّميمة، وغير ذلك.

٥- قد يكون العذاب في القبر مُكفِّرًا لبعض الذُّنوب والمعاصي التي ألم بها العبدُ في الحياة الدنيا، فيأتي يوم القيامة ولا ذنبَ له.

٦- قد يكونُ العذاب في القبر تخفيفًا لعُقوبة ذلك العبد في النار يوم القيامة.

(دراسات عقدية في الحياة البرزخية: ص ٣٥٨).

س: هل الموتى يَسمعون كلامَ الأحياء؟

ج: اختلف أهلُ العِلم في هذه المسألة على أقوال:

القول الأول: ذهب إلى نفي سماع الأموات للأحياء، وهو رأي السَّيدة عائشة وابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - وغير واحد من الصحابة وهو مذهب الجمهور، وهو قول ابن عابدين، وابن الهمام، وابن نُجَيم، والحصفكي، وغيرهم من أئمة الأحناف، والمازري والباجي والقاضي عياض من المالكية، والقاضي أبي يعلى من الحنابلة، ومالَ إليه الشيخ الألباني في تحقيقه "للآيات البيِّنات في عدم سماع الأموات"، ورجَّح ذلك أيضًا ابن باز وابن عُثيمين - رحمهم الله - ودليلهم:

الدليل الأول: قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} [النمل: ٨٠].

قال ابنُ جرير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية (٣٦/٢١):

هذا مَثَلٌ معناه: فإنك لا تَقدر أن تُفهِم هؤلاء المشركين الذين قد خَتم الله على أسماعهم، فسلَبهم فَهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تُفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعًا.

ثم روى بإسناده الصحيح عن قتادة قال: "هذا مَثَلٌ ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميتُ الدعاء كذلك لا يَسمع الكافر، {وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ} أي: لو أن أصَمَّ ولَّى مُدبرًا ثم ناديتَه لم يَسمع، كذلك الكافرُ لا يسمع ولا ينتفع بما سمع.

فثبت من هذه النُّقول عن كتب التفسير المعتمدة أن الموتى في قبورهم لا يسمعون، كالصُّمِّ إذا ولَّوْا مُدبرين.

وهذا الذي فَهمته عائشةُ – رضي الله عنها – واشتهر ذلك عنها في كتب السُّنة وغيرها، وهذا الذي فهمه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أيضًا؛ (انظر فتاوى اللجنة الدائمة: ٩٢١٦).

الدليل الثاني: قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٣، ١٤].

ووجه الدلالة من الآية: أن الصالحين لا يسمعون بعد موتهم، وغيرهم مثلهم بَداهة، بل ذلك من باب أولى كما لا يخفى، فالموتى كلُّهم إذًا لا يسمعون.

الدليل الثالث: حديث قَليب بدر: والحديث أخرجه البخاري عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: "وقف النبي – صلى الله عليه وسلم – على قَليب بدرٍ فقال: ((هل وَجدتم ما وَعد ربُّكم حقًّا؟)) ثم قال: ((إنهم الآن يَسمعون ما أقولُ))، فذُكِر لعائشة فقالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنهم الآن يعلمون أنَّ الذي كنتُ أقول لهم هو الحق)) ثم قرأت: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} حتى قرأت الآية".

وعند البخاري ومسلم أيضًا من حديث أبي طلحة رضي الله عنه:

"أن نبي الله – صلى الله عليه وسلم – أمرَ يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طويٍّ من أطواء بدر خبيث مُخبَّث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجتِه حتى قام على شَفَة الرَّكِيِّ، فجعل يُناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: ((يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا؟!)) فقال عمر: يا رسول الله، ما تُكَلِّم من أجسادٍ لا أرواح فيها؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفس مُحمد بيده، ما أنتم بأسمع مما أقول منهم)).

قال قتادة رحمه الله: "أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونِقمة وحدةً وندمًا".

ووجه الاستدلال بهذا الحديث يتضح بملاحظة أمرين:

الأول: ما في الرواية الأولى من تقييده – صلى الله عليه وسلم – سماع موتى القَليب بقوله: "الآن" فإن مَفهومه أنهم لا يَسمعون في غير هذا الوقت وهو المطلوب، وهذه الفائدة نبَّه عليها العلَّامة الألوسي في كتابه "روح المعاني" (٦/٤٥٥): ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون".

الأمر الآخر: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أقرَّ عمر وغيره من الصَّحابة على ما كان مُستقرًّا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون، فقد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما تكلِّم من أجساد لا أرواح فيها؟".

وجاء في "مسند الإمام أحمد" عن أنس – رضي الله عنه – قال: "فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله، أتناديهم بعد ثلاث؟ وهل يسمعون؟ يقول الله عز وجل: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى}، فقال: ((والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا))".

ومن هذا يتضح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أقر الصَّحابة – وفي مُقدِّمتهم عمر – على فَهمهم للآية على ذلك الوجه العامِّ الشامل لموتى القَليب وغيرهم؛ لأنه لم يُنكره عليهم، ولا قال لهم: "أخطأتم" فالآية لا تنفي مُطلقًا سماع الموتى، بل إنه أقرَّهم على ذلك، ولكن بيَّن لهم ما كان خافيًا عليهم في شأن القليب، وأنهم سمعوا كلامه حقًّا، وأنَّ ذلك أمرٌ خاصٌّ مُستثنى من الآية مُعجزة له – صلى الله عليه وسلم.

يقول قتادة – رحمه الله – أحدُ رواة الحديث: "أحياهم الله حتى أسمعهم توبيخًا، وتصغيرًا، ونقمة، وحسرة، وندامة".

الدليل الرابع: ما أخرجه الإمام أحمد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إن لله ملائكة سيَّاحين في الأرض، يُبلغوني عن أمتي السَّلام)).

ووجه الاستدلال به أنه صَريح في أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يَسمع سلام المُسلِّمين عليه، إذ لو كان يَسمعه بنفسه لما كان بحاجَة إلى مَن يُبلِّغه إليه، كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى.

وإذا كان الأمر كذلك، فبالأولى أنه – صلى الله عليه وسلم – لا يسمع غير السلام من الكلام، وإذا كان كذلك، فلَأَنْ يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى، ثم إن الحديث مطلق يشمل حتى مَن سلَّم عليه – صلى الله عليه وسلم – عند قبره.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: "لم أرَ مَن صرَّح بأن الميِّت يسمع سماعًا مطلقًا كما كان شأنه في حياته، ولا أظن عالمًا يقول به".

القول الثاني: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الموتى يسمعون في الجملة، ولا يسمعون في كل الأحوال.

وهناك فريق آخر رأى أنهم يسمعون في كل الأحوال، لكنَّهم لا يستطيعون الانتفاع بما يسمعونه أو حتى مجرَّد الردِّ.

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – كما في كتابه "الروح" (ص ٦٠): "وأما قوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢]، فسياق الآية يدل على أن المراد منها: أن الكافر الميِّت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعًا يَنتفع به، كما أن مَن في القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفعون به، و لم يُرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا البتَّةَ، كيف وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أنهم يسمعون خَفق نعال المُشيِّعين؟ وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه، وشُرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع، وأخبر أن مَن سلَّم على أخيه المؤمن ردَّ عليه السلام، وهذه الآية نظير قوله: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ}[النمل: ٨٠].

وقد يقال: نفي إسماع الصُّم مع نفي إسماع الموتى، يدل على أن المراد عدم أهليَّة كل منهما للسماع، وأن قلوب هؤلاء لَمَّا كانت ميِّتة صمَّاء كان إسماعها ممتنعًا بمنزلة خطاب الميِّت والأصم، وهذا حق، ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفي، والله أعلم.

وحقيقة المعنى: أنك لا تستطيع أن تُسمع من لم يشأ الله أن يُسمعه، {إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ}[فاطر: ٢٣]، أي: إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلَّفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه".

وقال الشيخ عمر الأشقر في "القيامة الصغرى": "ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الميِّت يسمع قَرع نعال أصحابه، بعد وضعه في قبره؛ فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إن العبد إذا وُضِع في قبره، وتولَّى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم))؛ (مسلم).

ووقف الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعد ثلاثة أيام من معركة بدر على قتلى بدر من المشركين فنادى رجالاً منه، فقال: ((يا أبا جهل بن هشام، يا أُميَّة بن خلف، يا عُتبة بن ربيعة، يا شَيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا؟ فإني قد وَجدت ما وعدني ربي حقًّا)) فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، كيف يسمعوا؟ أنَّى يجيبوا وقد جيَّفوا؟! قال: ((والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا)) ثم أمر فسُحبوا، فألقوا في قَليب بدر؛ (البخاري).

واستدل فريق من أهل العلم بهذا الحديث على أن الموتى يسمعون، وممن ذهب إلى ذلك: ابن جرير الطبري وابن قُتيبة وغيرهما من العلماء.

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية (ص ٨٥):

"من قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده باعتبار سماعه كلامَ الله، فهذا لم يصحَّ عن أحد من الأئمة المشهورين، ولا شكَّ في سماعه، ولكن انتفاعه بالسَّماع لا يصحُّ، فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة، فإنه عمل اختياري، وقد انقطع بموته، بل ربما يتضرَّر ويتألم لكونه لم يمتثل أوامر الله ونواهيه، أو لكونه لم يزدد من الخير".

وقد ساق ابن تيميَّة جملة من الأحاديث التي تدل على أن الموتى يسمعون، ثم قال: "فهذه النصوص وأمثالها تُبيِّن أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يَعرض للحي فإنه يَسمع أحيانًا خطاب من يُخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرِض له"؛ (مجموع الفتاوى: ٥/٣٦٦).

وقد أجاب شيخ الإسلام على إشكال من يقول: "إن الله نفى السَّماعَ عن الميِّت" في قوله: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم: ٥٢]، وكيف تزعمون أن الموتى يسمعون؟ فقال: "وهذا السمع سمع إدراك ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفي بقوله: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم: ٥٢]، فإن المراد بذلك: سمع القبول والامتثال، فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه، وكالبهائم التي تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى، فالميِّت وإن سمع الكلام وفقه المعنى، فإنه لا يُمكنه إجابة الداعي، ولا امتثال ما أُمر به ونُهي عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهي، وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهي، وإن سمع الخطاب وفهم المعنى، كما قال تعالى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} [الأنفال: ٢٣]، وقد جاءت النُّصوص دالَّة أيضًا على أن الميت مع سماعه يتكلم، فإن مُنكرًا ونَكيرًا يسألونه، فالمؤمن يوفَّق للجواب الحق، والكافر والمنافق يضلُّ عن الجواب، ويتكلم أيضًا في غير سؤال منكر ونكير، وكل هذا مخالف لما عهده أهل الدنيا من كلام، فإن الذي يُسأل ويتكلم الرُّوح، وهي التي تجيب وتَقعد وتُعذَّب وتُنعَّم، وإن كان لها نوعُ اتصال بالجسد، وقد سبق القول أن بعض الناس قد يسمعون الكلمة من الميت، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يسمع من هذا شيئًا كثيرًا؛ (مجموع الفتاوى: ٥/٣٦٤).

وأيضًا استدل هذا الفريق بحديث الدعاء عند دخول المقابر، وهو: ((السلام عليكم دار قوم...)) الحديث، وقالوا: لا يكون السلام إلا على مَن يسمعون.

والرد: أن هذا استدلال نظري استنباطي، ولا يدل الحديث على التصريح بسماعهم.

وأيضًا المقصود من السلام هو طلب الرحمة للموتى، فالمقصود من السلام عليهم الدعاء لا الخطاب.

وحاول البعض الجمع بين حديث ابن عمر (وهو محادثة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل القليب)، وبين حديث عائشة أنها أنكرت ذلك وقرأت عليهم قوله تعالى: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى}.

فقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في "الفتح" (٣/٣٠١): "إن الجمع بين حديث ابن عمر وعائشة بحمل حديث ابن عمر على أن مُخاطبة أهل القَليب وقعت وقت المسألة، وحينئذ كانت الرُّوح قد أعيدت إلى الجسد"؛ اهـ.

وقال المُناوي - رحمه الله - في "فتح القدير": "وأما الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم: "أنه يسمع قَرع نعالهم"، وقوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢]، أجيب: بأن السماع في الحديث بخصوص أول الوضع في القبر مقدمة السؤال، فالحديث لا يدل على العموم".

والراجح في المسألة:

هو ما ذهب إليه الفريق الأوَّل من عدم سماع الموتى، وهذا ما انتصر له الشَّيخ الألباني - رحمه الله - فقال في مقدمة "الآيات البينات في عدم سماع الأموات" للألوسي رحمه الله:

"وخلاصة البحث والتحقيق: أن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة الحنفية وغيرهم: على أن الموتى لا يسمعون، وأن هذا هو الأصل، فإذا ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال كما في حديث خفق النعال، أو أن بعضهم سمع في وقت ما كما في حديث القليب، فلا ينبغي أن يُجعل ذلك أصلاً، فيقال: إن الموتى يسمعون، كَلَّا، فإنها قضايا جزئيَّة لا تُشكل قاعدة كليَّة يعارض بها الأصل المذكور، بل الحق أنه يجب أن تستثنى منه على قاعدة استثناء الأقل من الأكثر، أو الخاص من العام، كما هو مقرر في أصول الفقه.

ولذلك قال العلامة الألوسي في "روح المعاني" بعد بحث مستفيض في هذه المسألة (٦/٤٥٥):

والحق أن الموتى لا يسمعون في الجملة، فيقتصر على القول بالسماع بما ورد السماع بسماعه.

وهذا مذهب طوائف من أهل العلم، كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلي.

وما أحسن ما قاله ابن التين رحمه الله: "إن الموتى لا يسمعون بلا شكٍّ، لكن إذا أراد الله تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع".

فإذا علمت أيها القارئ الكريم أن الموتى لا يسمعون، فقد تبيَّن أنه لم يبق هناك مجال لمناداتهم من دون الله تعالى، ولو بطلب ما كانوا قادرين عليه وهم أحياء، بحكم كونهم لا يسمعون النداء، وأن مناداة من كان كذلك والطلب فيه سخافة في العقل وضلال في الدين، وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الأحقاف: ٥، ٦].

وقال الطحطاوي في "حاشيته على الدر المختار" (٢/٣٨١): "إن الميت لا يسمع ولا يفهم".

وقال ابن عابدين في كتابه "رد المحتار على الدر المختار" (٣/١٨٠): "وأما الكلام: فالمقصود منه الإفهام، والموت ينافيه: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى}، شبه فيه الكفار بالموتى لإفادة بُعد سماعهم، وهو فرع عدم سماع الموتى".

وقال إمام الحنفية ابن الهمام في "فتح القدير حاشية الهداية": "وأكثر مشايخنا على أن الميِّت لا يسمع عندهم، وصرَّحوا به في كتاب "الأيمان" في باب اليمين بالضرب".

لو حلف لا يكلمه فكلَّمه ميِّتًا لا يَحنث، لأنها تنعقد على ما حيث يفهم، والميت ليس كذلك لعدم السماع، ولمزيد بيان في هذه المسألة راجع رسالة نعمان بن محمد الألوسي – رحمه الله – (ت: ١٣١٧هـ) والرسالة بعنوان الآيات البينات في عدم سماع الأموات.

والخلاصة:

أن قوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢]، هذه قاعدة كونيَّة عامَّة ثابتة لا تتغير، وهي أن الميت – أي ميِّت – لا يسمع إلا من جاء في حقِّه دليلٌ خاصٌّ وفي حالات خاصة، فهذا خصوص يبقى معه العموم على حاله، فمن أين الدليل على أن الموتى يسمعون؟

وكذلك الموتى لا يدرون بما يحدث حولهم، ففي حديث الحوض الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا رب، أمَّتي أمَّتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول النبي: سُحقًا سُحقًا، بُعدًا بُعدًا)).

ووُجِّه هذا السؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم (٩٢١٦) وفيه:

س: قرأت في كتاب "الحاوي للفتاوى" للإمام السيوطي أن الميت يسمع كلام الناس، وثناءهم عليه، وقولهم فيه، كذلك يَعرف من يزوره من الأحياء، وإن الموتى يتزاورون، فهل هذا حسن؟ فقد اعتمد على بعض الأحاديث وبعض الآثار، وذلك في (ج٢/ ١٦٩، ١٧٠، ١٧١)؟

ج: الأصل عدم سماع الأموات كلامَ الأحياء إلا ما ورد في النص؛ لقول الله سبحانه يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم: ٥٢]، وقوله سبحانه: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢].

وبالله التوفيق، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

ملاحظة:

الحديث الذي أخرجه الخطيب في التاريخ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعًا، وفيه: ((ما من رجل يمرُّ بقبر رجلٍ كان يعرفه في الدنيا فيُسلِّم عليه إلا عرفه وردَّ عليه))؛ (ضعيف، قال ابن الجوزي: لا يصح).

س: هل الأرض تأكلُ جسد الميت كله أم يبقى منه شيء؟

والجواب: نعم، إن الإنسان يبلى كله إلا جزء بسيط منه، وهي عظمة تُسمى عَجب الذَّنَب، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((ليس من الإنسان شيء إلَّا يَبلى، إلا عظمًا واحدًا، وهو عَجْب الذَّنَب، ومنه يُركَّب الخلقُ يومَ القيامة)).

وفي رواية لمسلم: ((كلُّ ابن آدم يأكله التُّرابُ إلَّا عَجْب الذَّنَب، منه خُلق وفيه يُركَّب)).

قال النووي رحمه الله: "عجب الذنب: هو عظم في أسفل الصُّلب، وهو رأس العصعص، وهو العظم الذي بين الأليتين الذي في أسفل الصلب، وهو أول ما يخلق منه الآدمي وهو الذي يُركَّب منه"؛ اهـــ.

تتمة للفائدة نذكر بعض الأمور التي لا يشملها الفناء وهي:

الرُّوح، الولدان المخلدون، الحور العِين، القلم، اللوح المحفوظ، الجنة، النار، الكرسي، العرش، عجب الذنب، أجساد الأنبياء.

جاء في شرح "النونية الكافية الشافية" (١/٩٧):

ثَمَانِيَةٌ حُكْمُ البَقَاءِ يَعُمُّهَا = مِنَ الخَلْقِ، وَالبَاقُونَ فِي حَيِّزِ العَدَم

هِيَ الْعَرْشُ وَالكُرْسِي وَنَارٌ وَجَنَّةٌ = وَشَجْبٌ[1] وَأَرْوَاحٌ كَذَا الرُّوحُ وَالقَلَم

وقال الإمام ابن القيم في "النونية" أيضًا (١/٩٥ ٩٦) شرح ابن عيسى:

وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ لَا يُفْنِيهِمَا = أَيْضًا وَإِنَّهُمَا لَمَخْلُوقَانِ

---

(١) الشجب: الهلاك والحزن.

وَالحُورُ لَا تَفْنَى كَذَلِكَ جَنَّةُ الْـــ = مَأْوَى وَمَا فِيهَا مِنَ الوِلْدَانِ
وَلِأَجْلِ هَذَا قَالَ جَهْمٌ إِنَّهَا = عَدَمٌ وَلَمْ تُخْلَقْ إِلَى ذَا الآنِ
وَالأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى = أَجْسَامُهُمْ حُفِظَتْ مِنَ الدِّيدَانِ
مَا لِلْبِلَى بِلُحُومِهِمْ وَجُسُومِهِم = أَبَدًا وَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ يَدَانِ
وَكَذَاكَ عَجْبُ الظَّهْرِ لَا يَبْلَى بَلَى = مِنْهُ تُرَكبُ خِلْقَةُ الإِنْسَانِ

س: هل الأرض تأكل أجساد الأنبياء كباقي البشر؟

والجواب - كما مرَّ بنا -: لا، فإن الله - عز وجل - حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ أخرج أبو داود بسند صحيح عن أوس بن أوس قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ))، قالوا: وكيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أَرِمْتَ؟[1] يقولون: بَلِيتَ، فقال: ((إن الله قد حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء عليهم السلام)).

فهذا الأمر خاصٌّ بالأنبياء فقط، أما الشُّهداء فليس هناك ما يَنصُّ على ذلك، إلا ما جاء في "صحيح البخاري" من حديث جابر - رضي الله عنه - قال: "لما حضر أُحُد دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول مَن يُقتَل مِن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإني لا أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن عليَّ دَينًا فاقضِ، واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا فكان أولَ قتيل، ودُفِن معه في قبره آخر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعتُه غير هُنَيَّة[2] في أذنه".

وجاء في "شرح الطحاوية":

"حرَّم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما رُوي في السُّنن، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد مِن دفنه كما هو لم يتغير، فيُحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أن يبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه - والله أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل كان بقاء جسده أطول؛ اهـــ.

---

(١) أَرِمْتَ: بليت.

(٢) هُنَيَّة: شيء من أذنه، وقال الحافظ في "الفتح": إنها شعيرات كنَّ في شحمة أذنه.

وقال الحافظ في "الفتح" (٣/٢٧٩) في الكلام على فضائل أبي جابر قال: "وفيه كرامته بكون الأرض لم تبلِ جسده مع لُبثه فيها، والظاهر أن ذلك لمكان الشهادة"؛ اهـ.

س: هل يُفتن غير المكلفين من الأطفال والمجانين في قبورهم؟

ج: يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر كما في "القيامة الصغرى" (ص ٤٧):

إنه جاء في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٢٥٧): أن الفِتنة عامَّة لجميع المكلَّفين، إلا النبيِّين، فقد اختُلف فيهم[1]، وإلَّا الشهداء والمرابطين، ونحوهم ممن جاءت النصوص دالَّة على نجاتهم من الفتنة.

واختُلف في غير المكلَّفين من الصبيان والمجانين، فقد ذهب جمع من العلماء إلى أنهم لا يُفتنون، وممن قال بهذا القاضي أبو يعلى وابن عقيل، ووِجْهة نظر هؤلاء أن المحنة تكون لمن كلف، أمَّا من رُفع عنه فلا يدخل في المحنة؛ إذ لا معنى لسؤاله عن شيء لم يكلَّف به.

وقال آخرون: "بل يفتنون، وهذا قول أبي الحكيم الهمداني وأبي الحسن ابن عَبدُوس، ونقله عن أصحاب الشافعي، وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلَّى على طفل، فقال: ((اللهمَّ قِهِ عذابَ القبر وفتنةَ القبر))، وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يمتحنون في الآخرة، وإنهم مكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره هو، وهذا مقتضى نصوص الإمام أحمد؛ اهـ (راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ٤/٢٥٧-٢٧٧).

قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "الروح" (ص ١١٧، ١١٩): "أما المسألة الثالثة عشرة: وهي أن الأطفال هل يُمتحنون في قبورهم؟

اختلف الناس في ذلك على قولين: هما وجهان لأصحاب أحمد، وحجة من قال: إنهم يسألون: أنه يشرع الصلاة عليهم، والدعاء لهم، وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.

كما ذكر مالك في "موطئه" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلَّى على جنازة صبي فسُمع من دعائه: ((اللَّهمَّ قِهِ عذابَ القبر)).

---

(١) قال ابن القيم - رحمه الله - كما في كتابه "الروح" (ص١١٠): وقد اختلف في الأنبياء هل يسألون في قبورهم؟ على قولين:

وهما وجهان في مذهب أحمد وغيره؛ اهـ؛ (انظر كذلك مجموع الفتاوى: ٤/٢٥٧).

واحتجوا بما رواه عليُّ بن معبد عن عائشة رضي الله عنها: "أنه مرَّ عليها بجنازة صبي صغير، فقيل لها: ما يُبكيك يا أم المؤمنين؟ فقالت: هذا الصبي، بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر".

واحتجوا بما رواه هنَّاد بن السَّري: ثنا أبو معاوية، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "إن كان ليُصلى على المنفوس ما إن عمل خطيئة قط، فيقول: اللَّهم أجِرْه من عذاب القبر".

قالوا: "والله سبحانه يُكمل لهم عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم، ويُلهمون الجواب عما يُسألون عنه"، قالوا: "وقد دلَّ على ذلك الأحاديث الكثيرة التي فيها أنهم يمتحنون في الآخرة، وحكاه الأشعري عن أهل السنة والحديث، "فإذا امتحنوا في الآخرة لم يمتنع امتحانهم في القبور".

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا صلَّى على جنازة يقول: ((اللهم اغفر لحيِّنا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكَرِنا وأُنثانا، اللَّهم من أحييتَه منَّا فأحيه على الإسلام، ومن توفَّيته منا فتوفَّه على الإيمان، اللهُمَّ لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده)).

* قال الآخرون: السؤال إنما يكون لمن عَقل الرسولَ والمُرسل، فيُسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فيقال له: "ما كنتَ تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟" فأما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما، فكيف يقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟! ولو رُدَّ إليه عقله في القبر، فإنه لا يُسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال، وهذا بخلاف امتحانهم في الآخرة، فإن الله سبحانه يرسل إليهم رسولاً ويأمرهم بطاعة أمره وعقولهم معهم، فمن أطاعه منهم نجا، ومن عصاه أدخله النار، فذلك امتحان بأمر يأمرهم به ويفعلونه ذلك الوقت، لا أنه سؤال عن أمر مضى لهم في الدنيا من طاعة أو عصيان، كسؤال الملكين في القبر.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه: فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل، على ترك طاعة أو فِعل معصية قطعًا، فإن الله لا يُعذِّب أحدًا بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره، وإن لم يكن عقوبةً على عمل عمله، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الميت ليعذَّب ببكاء أهله عليه)) أي: يتألَّم بذلك ويتوجَّع منه، لا أنه يُعاقَب بذنب الحي، {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: ١٦٤]، وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((السَّفر قِطعةٌ من العذاب))؛ (البخاري ومسلم).

فالعذاب أعمُّ من العقوبة، ولا ريب أن في القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل، فيتألم به، فيُشرَع للمصلِّي عليه أن يسأل الله تعالى له أن يقيه ذلك العذاب، والله أعلم"؛ اهـــ.

س: هل الأنبياء يُفتنون ويُسألون في قبورهم؟

قال ابن القيم – رحمه الله – كما في كتابه "الروح" (ص ١١٠):

وقد اختُلف في الأنبياء: هل يسألون في قبورهم؟ على قولين: وهما وجهان في مذهب أحمد وغيره؛ اهـــ.

والراجح أنهم لا يسألون، فقد جاء في الحديث: ((ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ يقصد النبيَّ – صلى الله عليه وسلم".

وكذلك حديث البراء بن عازب – رضي الله عنه – والذي أخرجه الإمام أحمد وفيه: ((ما هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟)).

ومن هذين الدَّليلَين يتبيَّن: أن السؤال عن الأنبياء، وأنهم بذلك لا يُسْألون بل يُسأل عنهم.

وكذلك حديث جابر – رضي الله عنه – وهو في "صحيح مسلم" في حَجَّة النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيه: ((وأنتم تسألون عنِّي، فما أنتم قائلون؟))، فهذه الرواية تفسِّر الروايات الأخرى، والله أعلم.

تنبيه:

وهناك جملة أيضًا من الذين لا يُفْتنون في قبورهم، وهم:

١– من يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة من المسلمين:

فقد أخرج الإمام أحمد والتِّرمذي عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة، إلا وقاهُ الله فتنة القبر))؛ (صحيح الجامع: ٥٧٧٣).

٢– من مات مرابطًا في سبيل الله:

أخرج الترمذي وأبو داود عن فضالة بن عبيد – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((كل ميِّت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا[1] في سبيل الله؟ فإنه يُنمَّى له عمله يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر)).

---

(١) الرباط: هو الملازمة في سبيل الله، مأخوذة من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطًـــا: فارسًا كان أو راجلًا، واللفظه مأخوذة من الرباط.

٣- مَن مات بداءِ البطن:

فقد أخرج النسائي والترمذي عن عبدالله بن يَسار قال: "كنت جالسًا وسليمان بن صُرَد، وخالد بن عُرْفُطة، فذكروا أن رجلاً توفِّي مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهِدَا جنازتَه، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَن يقتله بطْنُه فلن يُعذب في قبره))؟ فقال الآخر: بَلى، وفي رواية: صَدَقتَ".

٤- مَن مات شهيدًا في أرض المعركة:

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن المِقدام بن مَعدِ يكَرِب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((للشَّهيد عند الله ستُّ خصال: يُغْفَر له في أول دفعة، ويَرى مقعده في الجَنَّة، ويُجار مِن عذاب القَبر، ويَأمَن الفَزع الأكبر، ويُوضَع على رأسِهِ تاجُ الوقار، الياقوتَةُ منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحُور العِين، ويُشفَّع في سبعين من أقربائه)).

وأخرج النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: ((كفى ببارقة السُّيوف على رأسه فتنة)).

س: ما حال الأنبياء في القبور؟

والجواب عن ذلك: أنهم أحياءٌ يُصلُّون في قبورهم.

فقد أخرج البزار في "مسنده" بسند صحيح عن ثابت البُناني عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((الأنبياء - صلوات الله عليهم - أحياء في قبورهم يُصلُّون))؛ (السلسلة الصحيحة: ٢/١٨٧، ح ٦٢١).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مررت على موسى وهو قائم يُصلِّي في قبره)) وفي رواية: ((أتيت على موسى ليلة أُسريَ بي عند الكَثِيب الأحمر وهو قائم يُصلِّي في قبره))؛ (مسلم).

وقد ألَّف البيهقي رسالة بعنوان "حياة الأنبياء في قبورهم" وقال في دلائل النبوة: "الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء".

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد رأيتني في الحِجر وأنا أُخبر قريشًا عن مَسراي، فسألوني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أثبتها، فكَربتُ كَربًا ما كربتُ مثله قط، فرفعه الله - عز وجل - لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به،

وقد رأيتني في جماعة الأنبياء، فإذا موسى قائم يُصلِّي فإذا رجل ضَرب جَعد كأنه من رجال شنوءة[1]، وإذا عيسى بن مريم قائم يُصلِّي، أقرب الناس به شَبهًا عروة بن مسعود الثَّقفي، وإذا إبراهيمُ قائم يُصلِّي، أشبه الناس به صاحبكم (يعنى: نفسه) فحانت الصَّلاةُ فأمَمْتُهم، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل: يا محمَّد، هذا مالك صاحب النار، فسلِّم عليه، فالْتَفتُّ إليه فبدأني بالسَّلام))؛ (مسلم).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في "مجموع الفتاوى": "وأما كونه رأى موسى قائمًا يُصلِّي في قبره، ورآه في السماء أيضًا، فهذا لا منافاةَ بينهما، فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالمَلَك، ليست في ذلك كالبدن.

وهذه الصلاة ونحوها مما يتمتع به الميت، ويتنعم به، كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يُلهَمون التسبيح كما يُلهم الناسُ في الدنيا النَّفَس، فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، وعلم يُنتفع به، وولد صالح يدعو له".

يريد به العمل الذي يكون له ثواب، ويتنعَّمون بذكره وتسبيحه، ويتنعمون بقراءة القرآن، ويُقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتِّل كما كنتَ ترتِّل في الدنيا، فإن مَنزلتك عند آخر آية تقرؤها، ويتنعَّمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب، فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضًا، والأكل والشرب والنكاح في الدنيا مما يؤمر به ويُثاب عليه مع النية الصالحة، وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعم به، والله أعلم.

وقد أنكر ابن التِّين كون الموتى يُصلُّون، وقد ردَّ على ذلك الشَّيخ الألباني كما في "أحكام الجنائز" (ص ٢٧٢) فقال: "وقول ابن التين: "الموتى لا يُصلُّون" ليس بصحيح؛ لأنه لم يرد نصٌّ في الشَّرع بنفي ذلك، وهو من الأمور الغيبية التي لا ينبغي البَتُّ فيها إلا بنصٍّ، وذلك مفقود، بل قد جاء ما يُبطل إطلاقَ القَولِ به، وهو صلاة موسى عليه الصلاة والسلام في قبره كما رآه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليلةَ أُسريَ به، على ما رواه مسلم في "صحيحه"، وكذلك صلاة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مُقتدين به في تلك الليلة، كما ثبت في "الصحيح"، بل ثبت عنه أنه قال: "الأنبياء أحياء في قبورهم يُصلُّون".

---

(١) شنوءة: قبيلة من اليمن، ورجال هذه القبيلة متوسطون بين الخفة والسمن، والشنوءة في الأصل التباعد.

وأخرج أبو نعيم في "الحلية" عن سعيد بن جُبير قال: "أنا – والله الذي لا إله إلا هو – أدخلتُ ثابتًا البُنانيَّ لحدَه، ومعي حُميدٌ الطَّويل، فلما سوَّينا عليه اللَّبِن، سقطت لَبِنةٌ، فإذا أنا به يُصلِّي في قَبره، وكان يقول في دعائه: اللَّهمَّ إن كنتَ أعطيتَ أحدًا من خَلقك الصلاةَ في قبره فأعطنيها، فما كان الله تعالى ليرد دعاءه"، وقد كان ثابت البناني دائمًا ما كان يدعو بهذا الدعاء.

وقد أخرج أبو نعيم في "الحلية" بسند صحيح عن يوسف بن عطية قال: "سمعت ثابتًا يقول لحُميد الطويل: هل بلَغك أن أحدًا يُصلِّي في قبره إلَّا الأنبياء؟ قال: لا، قال ثابت: اللَّهم إن أذنت لأحد أن يُصلِّي في قبره، فَأْذن لثابت أن يُصلِّي في قبره".

وأخرج ابن سعد في " الطبقات" وابن أبي شيبة في "مصنفه" عن ثابت البناني قال: "اللهم إن كنت أعطيتَ أحدًا الصلاةَ في قبره فأعطني الصلاة في قبري".

س: ما مصير أطفال المسلمين الذين ماتوا في الصِّغَر؟

ج: قالت طائفة من أهل العلم: "إنهم في الجنة".

ودليل ذلك ما أخرجه أحمد والحاكم وابن حبَّان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((ذراري المؤمنين يكفلهم إبراهيم – عليه السلام – في الجنة)).

وعند الحاكم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((أولاد المسلمين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارة – عليهما السلام – فإذا كان يوم القيامة دُفعوا إلى آبائهم)).

– وذهبت طائفة: إلى أنه يُشهَد لأطفال المؤمنين عمومًا أنهم في الجنَّة ولا يُشهد لآحادهم، كما يشهد للمؤمنين عمومًا أنهم في الجنة، ولا يشهد لآحادهم، وهو قول إسحاق بن راهويه، نقله عن إسحاق بن منصور وحرب في مسائلهما.

ولعل هذا يرجع إلى الطِّفل المُعين لا يُشهَد لأبيه بالإيمان، فلا يُشهَد له حينئذ أنه من أطفال المؤمنين، فيكون الوقف في آحادهم كالوقف في إيمان آبائهم.

– وحكى ابن عبدالبر عن طائفة من السلف: القول بالوقف في أطفال المؤمنين.

واستدل القائلون بالوقف، بما أخرجه مسلم من حديث فُضيل بن عمرو، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت: "تُوفِّي صبيٌّ، فقلتُ: طُوبى له، عُصفور من عصافير الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَوَلا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً؟)).

ويعارض هذا ما خرَّجه مسلم، من حديث أبي السليل، عن أبي حسان، قال: "قلت لأبي هريرة رضي الله عنه: إنه قد مات لي ابنتان، فما أنت مُحدِّثي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم، ((صِغارُهم دعاميصُ أهل الجنة، يتلقَّى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه، أو قال بيده: فلا يَنتهي حتى يُدخله الله وأباه الجنة))؛ (مسلم).

وفي "الصحيحين" عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما من الناس مُسلم يموت له ثلاثةٌ من الولد لم يبلغوا الحِنث إلا أدخله اللهُ الجنةَ بفضل رحمته إياهم)).

ولهذا قال الإمام أحمد: "هو يرجى لأبويه، فكيف يُشك فيه؟! يعني: أنه يُرجى لأبويه بسبَبه دخولُ الجنَّة.

ولعلَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى أولاً عن الشَّهادة لأطفال المُسلمين بالجنة قبل أن يطَّلع على ذلك؛ لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به، ثم اطَّلع على ذلك فأخبر به، والله أعلم.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي في "أهوال القبور" (ص ١٣٢):

"بقية المؤمنين سوى الشهداء ينقسمون إلى: أهل تكليف، وغير أهل تكليف، فهذا قسمان: أحدهما: غير أهل التكليف؛ كأطفال المؤمنين، فالجمهور على أنهم في الجنة، وقد حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك، وكذلك نص الشافعيُّ على أن أطفال المسلمين في الجنة، وجاء صريحًا عن السَّلف على أن أرواحهم في الجنة.

س: ما مصير أطفال المشركين الذين ماتوا في الصِّغر؟

ج: أطفال المشركين الرَّاجح أنهم في الجنة:

وقد اختلف العلماء في الأطفال عمومًا الذين ماتوا وهم صغار.

قال ابن حجر - رحمه الله - في "الفتح": "اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسألة على أقوال: أحدها: أنهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمَّادَين، وابن المبارك، وإسحاق، ونقله البيهقي عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبدالبر: وهو مُقتضى صَنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص.

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة، وأولاد الكُفَّار في النار، وحكاه ابن حَزم عن الأزرق من الخوارج.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار؛ لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة.

خامسها: أنهم يصيرون ترابًا.

سادسها: هم في النار، حكاه عياض عن أحمد، وغلَّطَه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يُحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يُمتحنون في الآخرة بأن تُرفع لهم نار ويؤمرون بدخولها، فمَن دخلها كانت عليه بَردًا وسلامًا، ومَن أَبَى عُذِّب، وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في "كتاب الاعتقاد" بأنه المذهب الصحيح.

ثامنها: أنهم في الجنة، قال النووي: وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون؛ لقوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥]، وإذا كان لا يعذب العاقل كونه لم تبلغه الدعوة، فلَأَنْ لا يُعذَّب غير العاقل من باب الأولى، وهو الذي صار إليه البخاري؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل مولود يُولد على الفِطرة، فأبواه يُهوِّدَانه، أو يُنصِّرَانه، أو يُمجِّسَانه))؛ (البخاري).

ولحديث سَمُرة، وفيه: ((... والشيخ بأصل الشجرة: إبراهيمُ عليه السلام، والصبيانُ حوله أولاد الناس))، وقد أخرجه البخاري في التعبير بلفظ: ((وأما الوِلْدان الذين حوله فكل مولود يُولد على الفطرة))، فقال بعض المسلمين: "وأولاد المشركين؟" فقال: ((وأولاد المشركين)).

وروى أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمَّتها قالت: "قُلت: يا رسول الله، مَن في الجنة؟ قال: ((النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة))؛ (إسناده حسن).

وروى أبو يعلى من حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعًا: ((سألتُ ربي اللَّاهِين من ذرِّيَّة البشر ألَّا يُعذِّبهم فأعطانيهم))؛ (إسناده حسن).

وورد تفسير: "اللاهين" بأنهم الأطفال، من حديث ابن عباس مرفوعًا أخرجه البزَّار.

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك، وفي الفرق بينهما دقة"؛ (فتح الباري: ٣/ ٢٩٠).

والراجح: هو القول الثامن: أنهم من أهل الجنة.

س: ما هي الرُّوح؟ وهل هي شيء آخر غير البدن؟ وهل تبقى بعد مفارقة الجسد إن كانت غيره؟

ج: عرَّف ابن القيِّم – رحمه الله – الرُّوحَ في كتابه "الروح"، فقال: "الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نُوراني عُلوي خفيفٌ حيٌّ متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويَسري فيها سريان الماء في الوَرد، وسريان الدُّهن في الزَّيتون، والنار في الفَحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائِضة عليها من هذا الجسم اللَّطيف، بقي هذا الجِسم اللَّطيف مُتشابكًا بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحسِّ والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الرُّوح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح"؛ اهـــ.

وقد دلَّل الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه "القيامة الصغرى" (ص٩٦) على أن الرُّوح شيء مُستقل عن البدن، واستدل بالأدلة القرآنية والنبوية، منها:

قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ} [الزمر: ٤٢].

وقوله: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: ٥٠].

وقوله: {وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} [الأنعام: ٩٣].

وقوله: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} [القيامة: ٢٦-٣٠].

وقوله: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ} [الواقعة: ٨٣-٨٤].

والذي يُمْسك، وتتوفَّاه الملائكة، ويَبلغ الحُلقوم، ويبلغ التَّراقي، ويُساق، لا بد أن يكون شيئًا حقيقيًّا مخالفًا للجسد.

وفي أحاديث أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها أن ملك الموت يقبض الرُّوح، وأن الملائكة تضع تلك الروح في كفن من الجنة أو النار بحسب فَلاحها أو فسادها، وأنه يُذْهَب بها في رحلة علويَّة سماويَّة، حيث تُفْتَح لها أبواب السماء إن كانت صالحة، وتعلق دونها إن كانت طالحة، وأنها تُعاد إلى الجسد، وتُسْأَل وتُعَذَّب، أو تُنَعَّم، وأن أرواح الشُّهداء في حواصل طير خُضْر، وأرواح المؤمنين طير يعلق في شجر الجنة، وأن الروح إذا قُبض تَبِعه البصرُ، إلى غير ذلك من النصوص الدالَّة في مجموعها دلالة قاطعة على أن الأرواح شيء آخر غير الأبدان، وأنها تقبض بعد مفارقة البدن؛ اهـــ.

س: هل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور؟

يجيب عن هذا ابن القيم – رحمه الله – كما في كتابه "الروح" فيقول:

المسألة الثانية: في أن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟

فهي أيضًا مسألة شريفة كبيرة القدر، وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح مُعذَّبة، وأرواح مُنَعَّمة.

فالمعذَّبَة: في شُغُل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي.

والأرواح المُنَعَّمة المرسَلة غير المحبوسة: تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها، وروح نبينا – صلى الله عليه وسلم – في الرَّفيق الأعلى، قال الله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩].

وهذه المعِيَّة ثابتة في الدنيا، وفي البرزخ، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاث".

وعن أبي قتادة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إذا ولي أحدكم أخاه فليُحسن كفنه، فإنهم يُبعثون في أكفانهم ويتزاورون في قبورهم))؛ (رواه الخطيب البغدادي عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٨٤٥)، (وهو في السلسلة الصحيحة كذلك رقم: ١٤٢٥).

وعن أبي أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – قال: ((إذا قُبضتْ نفسُ العبد تلقَّاه أهل الرحمة من عباد الله كما يَلقون البشير في الدنيا، فيُقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أَنْظِروا أخاكم حتى يَستريحَ؛ فإنه كان في كرب، فيُقبلون عليه، فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوَّجت؟ فإذا سألوا عن الرَّجل قد مات قَبله، قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أمِّه الهاوية (النار) فبئست الأمُّ وبئست المربية، قال: فيُعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا، وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سُوءًا قالوا: اللَّهم راجع بعبدك))؛ (أخرجه ابن المبارك في الزهد: ١٤٩، موقوفًا على أبي أيوب الأنصاري، وله حكم الرفع).

قال الألباني: إسناده صحيح "الصحيحة" رقم: ٢٧٥٨، ثم قال: وكونه موقوفًا لا يضر، فإنه يتحدث عن أمور غيبيَّة لا يمكن أن تُقال بالرأي، فهو في حكم المرفوع يقينًا.

وأخرج النَّسائي والحاكم بسند صحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إذا حُضِرَ المؤمن أتته ملائكة الرَّحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخْرُجِي راضيةً مرضيًّا عنكِ إلى رَوْحِ الله ورَيحانٍ وربٍّ غير غضبان، فتخرج كأطيَب ريح المِسك، حتى

إنه ليتناوله بعضُهم بعضًا حتى يأتون به باب السماء، فيقولون: ما أطيبَ هذه الرِّيحَ التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين فلَهُم أشدُّ فرحًا به من أحدكم بغائِبه يَقدمُ عليه، فيسألونه: ماذا فعل فُلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دَعوه فإنه كان في غمِّ الدنيا.

فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهِب به إلى أمِّه الهاوية، وإن الكافر إذا احتُضِر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخْرُجِي ساخطةً مسخوطًا عليكِ إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أَنْتَن هذه الريح، حتى يأتون به أرواح الكفار)).

وعن أبي حازم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أحسبه رفعه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن المؤمن يترل به الموت ويعاين ما يعاين، فود لو خرجت – يعني: نفسَه – والله يحب لقاءه، وإن المؤمن يُصعد بروحه إلى السماء، فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال: تركت فلانًا في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلانًا قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا.

وإن المؤمن يُجلس في قبره فيُسأل: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقال: من نبيك؟ فيقول: نبيي محمد – صلى الله عليه وسلم – قال: فما دينك؟ قال: ديني الإسلام، فيُفتح له باب في قبره، فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك، ثم يرى القبر، فكأنما كانت رقدةً.

فإذا كان عدوًّا لله نزل به الموت وعاين ما عاين، فإنه لا يحبُّ أن تخرجَ رُوحه أبدًا، والله يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أُجْلِس، فيُقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري! فيقال: لا دَرَيت، فيُفتح له باب من جهنم، ثم يُضرب ضربةً تُسمِع كل دابَّة إلا الثقلين، ثم يُقال له: نَمْ كما ينام المنهوش، فقلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال: الذي ينهشه الدواب والحيَّات ثم يُضيَّق عليه قبره)).

(أخرجه البزار في "مسنده"، قال الألباني: والحديث صحيح؛ انظر: الصحيحة: ٢/٢٦٣/ ح ٢٨٢٨).

س: أين مستقر الأرواح بعد الموت؟

ج: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأما المسألة الخامسة عشرة: وهي أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ هل هي في السماء أم في الأرض؟ وهل هي في الجنة والنار أم لا؟ وهل تُودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهي إنما تُتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك:

فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله، شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرةٌ ولا دَيْن، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم.

وقالت طائفة: هم بفِناء الجنَّة على بابها، يأتيهم من رَوحها ونعيمها ورزقها.

وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

وقال مالك رحمه الله: بلغني أن الروح مُرسَلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبدالله: أرواح الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في الجنة.

ورُوي عن جماعة من الصحابة والتابعين: أن أرواح المؤمنين بالجابية، وأرواح الكفار ببرهوت (بئر بحضرموت).

وقال كعب رحمه الله: أرواح المؤمنين في علِّيِّين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سِجِّين في الأرض السابعة تحت خد إبليس.

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

وقالت طائفة أخرى، منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

بعد عرض ما سبق يترجح لنا أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

أولاً: أرواح الأنبياء، وهذه تكون في خير المنازل في أعلى عِلِّيِّين، في الرفيق الأعلى، وقد سمِعَت السيدةُ عائشةُ الرَّسولَ – صلى الله عليه وسلم – في آخر لحظات حياته يقول: ((اللهم الرفيق الأعلى))؛ (البخاري).

وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة الإسراء، وهذا قول ابن القيم وشارح الطحاوية.

قال ابن رجب – رحمه الله – في "أهوال القبور": "أما الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فليس فيهم شكٌّ أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين".

ثانيًا: أرواح الشهداء، وهؤلاء أحياء عند ربهم يُرزقون.

قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩].

وقد سأل مسروق – رحمه الله – عبدَالله بن مسعود – رضي الله عنه – عن هذه الآية، فقال: "إنا قد سألنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك، فقال: ((أرواحهم في أجواف طير

خضر، لها قناديل مُعلَّقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل))"؛ (رواه مسلم في صحيحه).

قال النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: قال القاضي عياض: "وفيه أن الأرواح باقية لا تَفنى، فينعَّم المحسن ويُعذَّب المسيء، وقد جاء به القرآن والآثار، وهو مذهب أهل السنة، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر، تَرِد أنهارَ الجنة، وتأكل من ثِمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهب، مُعلَّقة في ظلِّ العرش، فلما وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يُبلِّغ عنا إخواننا أنَّا أحياء في الجنة نُرزق، لئلَّا يَنكلوا عن الحرب، ولا يزهدوا في الجهاد؟ قال: فقال الله عز وجل: أنا أُبلِّغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩]"؛ (أحمد).

وفي "صحيح البخاري" عن أنس – رضي الله عنه – قال: "أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمُّه إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت: يا رسول الله، قد عَرَفت منزلة حارثة منِّي، فإن يكن في الجنة صبرتُ واحتسبت، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ قال: ((ويحك! أَوَهبلتِ؟ جنَّة واحدةٌ هي؟ إنها جنانٌ كثيرة، وإنه في جنة الفردوس)).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((رأيتُ جعفر بن أبي طالب ملَكًا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحَين))؛ (الترمذي).

الثالث: أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيورًا تعلُق شجر الجنة.

قال صلى الله عليه وسلم: ((إنما نَسَمة المؤمن طائر يَعْلُقُ[1] في شجر الجنة، حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه))؛ (رواه مالك وأحمد والنسائي عن كعب بن مالك عن أبيه، وهو في صحيح الجامع: ٢٣٧٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهناك أحاديث على اجتماع الروح والبدن في نعيم القبر وعذابه، وهناك أحاديث تدل على انفراد الروح وحدها كالأحاديث السابقة، ثم قال شيخ الإسلام: فقد أخبرت هذه النصوص أن الروح تُنعَّم مع البدن الذي في القبر إذا شاء الله، وإنما تُنعم في الجنة وحدها، وكلاهما حقٌّ، وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب "ذكر الموت" عن مالك بن أنسٍ قال: "بلغني أن الروح مرسَلة تذهب حيث شاءت".

---

(١) يَعْلُقُ: يأكل.

الرابع: أرواح العصاة: وستأتي النصوص التي تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب.

فمن ذلك أن الذي يَكذِب الكذبةَ تبلغ الآفاقَ يُعذَّب بكلُّوب من حديد يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه، والذي نام عن الصلاة المكتوبة يُشدَخ رأسه بصخرة، والزُّناة والزَّواني يُعذَّبون في ثقب مثل التَّنُّور، ضيِّق أعلاه وأسفله واسع، تُوقد النار من تحته، والمُرابي يسبح في بحر من دم، وعلى الشطِّ من يلقمه حجارة، وهناك من الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يستتره من بوله، والذي يمشي بالنَّميمة بين الناس، والذي غلَّ من الغنيمة، ونحو ذلك.

الخامس: قال ابن القيم: "ومنهم: من يكون محبوسًا على باب الجنة كما في الحديث الآخر: ((رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة)).

وعن سَمُرة بن جُندب، قال: "صلَّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جنازة، فلما انصرف قال: ((أها هُنا مِن آل فلان أحد؟)) فسكتَ القوم - وكان إذا ابتدأهم بشيء سكتوا - فقال ذلك مرارًا ثلاثًا، فلم يجبه أحد، فقال رجلٌ: هو ذا، فقام رجلٌ يجرُّ إزارَه من مُؤخر الناس، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما منعك في المرَّتَين الأُولَيين أن تكون أَجبتَني؟ أما إني لم أُنوِّه باسمك إلا لخير، إن فلانًا - لرجل منهم - مأسور بدَيْنه عن الجنة، فإن شئتم فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله عز وجل))"؛ (أبو داود).

السادس: مَن يكونُ مقرُّه بابَ الجنة:

قال ابن القيم في "الروح" (ص ١٥٤): "ومنهم من يكون مقرُّه باب الجنة، كما في حديث ابن عباس: "الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبَّة خضراء، يخرج رزقهم من الجنة بُكرة وعشيَّة"؛ (رواه أحمد).

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب؛ حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

السابع: أرواح الكفار: في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند النسائي: بعد أن وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره في الجنة، ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزع، وبعد أن تقبض رُوحه: "تَخرج منه كأنتن ريح، حتى يأتون به بابَ الأرض، فيقولون: ما أنتنَ هذه الرِّيح! حتى يأتون به أرواح الكفار".

الثامن: أطفال المشركين، والراجح أنهم في الجنة كما مرَّ بنا.

س: هل هناك فارق بين أرواح الشهداء في الجنة، وغيرهم من المؤمنين؟

والجواب: نعم، هناك فرق بين حياة الشُّهداء في الجنة وغيرهم من المؤمنين.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي:

"والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحُهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشُّهداء تُخلق لها أجسادٌ، وهي الطَّير التي تكون في حواصلها، ليكمل بذلك نعيمها، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله، فعُوِّضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

والثاني: أنهم يُرزقون في الجنة، وغيرهم لم يثبت له في حقِّه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم "يعلُقون" في شجر الجنة، ورُوي: "يعلَقون" (بفتح اللام وضمها)، فقيل: إنهما بمعنى، وأن المراد الأكل من الشجر، قال ابن عبدالبر: وقيل: بل رواية الضم معناه "الأكل"، ورواية الفتح معناها "التَّعلُّق" وهو التَّستُّر، وبكلِّ حال فلا يَلزم مُساواتهم للشُّهداء في كمال تَنَعُّمهم بالأكل، واللهُ أعلمُ"؛ (أهوال القبور: ص ١٦٥).

وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – عن نعيم الشهداء وعلو درجتهم:

"نصيبهم (أي: الشهداء) من هذا النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم، فله نعيم يختصُّ به ولا يشاركه فيه مَن هو دونه، ويدل على هذا أن الله – سبحانه – جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خُضر، فإنهم بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضَهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجرَّدة عنها؛ ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير، ونسَمة الشهيد في جوف طير، وتأمَّل لفظ الحديثَين! فإنه قال: ((نسمة المؤمن طير)) فهذا يعم الشهيد وغيره، ثم خص الشَّهيدَ بأن قال: ((في جوف طير))، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير، صدق عليها أنها طير، فصلوات الله وسلامه على من يُصدِّق كلامه بعضه بعضًا، ويدل على أنه حق من عند الله".

س: هل النفْس هي الروح ؟ أم هما متمايزان؟

النفس تطلق على أمور، وكذلك الرُّوح، فيتحد مدلولهما تارة ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت متَّصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجرَّدة فتسمية الروح لها أغلب"؛ (العقيدة الطحاوية: ص ٢٤١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لكن تُسمَّى نفسًا باعتبار تدبيره للبدن، وتُسمَّى رُوحًا باعتبار لطفه؛ ولهذا يسمى الريح روحًا، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الرِّيحُ مِن روح اللهِ" أي: من الرُّوح التي خلقها الله".

ويقول – رحمه الله – أيضًا: "والرُّوح المدَبِّرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الرُّوح المنفوخة فيه، وهي النفْس التي تفارقه بالموت"؛ اهـــ؛ (رسالة العقل والروح).

ويقول الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتابه "القيامة الصغرى": وقد أخطأ الذين فرَّقوا بين الرُّوح والنَّفس واعتقدوا أنهما أمران مختلفان، وهذا المخلوق الذي تكون به الحياة وتُفقد الحياة بفقده يُسمى رُوحًا ونفسًا، ولا يمنع هذا أن تُطلق كلٌّ من الرُّوح والنفْس إطلاقات أخرى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لفظ الرُّوح والنفس يعبَّر بهما عن عدَّة معانٍ: فيراد بالرُّوح الهواء الخارج من البدن، والهواء الداخل فيه، ويراد بالروح البُخار الخارج من تجويف القلب من سويداه السَّاري في العروق، وهو الذي يُسمِّيه الأطباء الرُّوح، ويُسمى الرُّوح الحيواني، فهذان المَعنيان غير الرُّوح التي تُفارق بالموت التي هي النَّفس، ويراد بنفس الشَّيء ذاته وعينه، كقوله تعالى: {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ} [النور: ٦١]، وكقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩]، وقد يُراد بلفظ النَّفس الدَّم الذي يكون في الحيوان، كما جاء في الحديث الذي رواه البيهقي بسند ضعيف: "ما لا نفسَ له سَائلَة لا ينجس الماء إذا مات فيه"، وكقول الفقهاء: "ما له نفس سائلة وما ليس له نفس سائلَة" فهذان المعنيان بالنَّفس ليسا هما معنى الروح"؛ اهـــ؛ (رسالة العقل والروح: ٣٩/٢).

تنبيه:

وتطلق الرُّوح ويراد بها جبرائيلُ، قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣].

وتطلق الروح ويراد بها القرآن، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى: ٥٢].

وتطلق الروح ويراد بها الوحي، قال تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} [غافر: ١٥].

وتطلق الروح ويراد بها القوة والثبات والنُّصرة التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين، قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} [المجادلة: ٢٢].

وتطلق الروح ويراد بها المسيح ابن مريم، قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [النساء: ١٧١].

وتطلق الروح ويراد بها ما به حياة الإنسان، كقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥].

فهي الجزء الذي به تحصل الحياة والتحرُّك واستجلاب المنافع واستدفاع المضارِّ، هذا هو بيت القصيد وموضوع البحث؛ (انظر الروح لابن القيم: ص٢٤١)، و(مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص٣٦٩).

س: هل للرُّوح كيفيَّة تُعلم؟

الرُّوح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات؛ ولذلك لا نستطيع أن نعرف صفاتها غير أنه جاءنا من أخبارها أنها تصعدُ وتهبط، والنبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرنا أن الروح يُصعد بها إلى السموات العلا، ثم تُعاد إلى القبر في ساعة من الزَّمن، وأن الروح تُنعَّم أو تُعذَّب في القبر نعيمًا أو عذابًا لا نعرفه، ولا عهد لنا به، فهذا ما جاءنا عن أخبارها، وخلاف ذلك ككيفيتها فإننا لا نعرفه؛ (انظر القيامة الصغرى: ص ٩٣ للدكتور عمر سليمان الأشقر).

س: أين مسكن الروح في الجسد؟

الروح تسري في بدن الإنسان كله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا اختصاص للرُّوح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عَرَض في جميع الجسد، فإن الحياة مشروطة بالرُّوح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة؛ (رسالة العقل والروح ٤٧/٢).

س: هل الرُّوح تُقْبَض عند النوم؟

ج: نعم الروح تُقْبَض عند النوم، وهو ما يُسمَّى بالوفاة الصغرى، دليل ذلك قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: ٤٢].

وأخرج البخاري عن عبدالله بن أبي قتادة عن أبيه قال: "سرنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة، فقال بعض القوم: لو عرَّست بنا يا رسول الله، قال: ((أخاف أن تناموا عن الصَّلاة))، قال بلال: أنا أوقظكم، فاضْطَجَعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه فنام، فاستيقظ النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد طلع حاجب الشمس، فقال: ((يا بلال، أين ما قلتَ؟)) قال: ما أُلْقِيت علي نومةٌ مثلها قطُّ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله قبَض أرواحكم حين شاء، وردَّها حين شاء، يا بلال، قم فأذِّن بالناس بالصلاة)) فتوضَّأ، فلما ارتفعت الشمس

وابيضَّت، قام فصلَّى".

س: هل الروح مخلوقة؟

ج: ذهب فريق من الفلاسفة إلى أن الروح غير مخلوقة، بل هي قديمة أزليَّة.

وذهب صِنف آخر من زنادقة هذه الأمة وضُلَّالها من المتكلمة والمتصوِّفة إلى أن الروح من ذات الله، وهؤلاء أشرُّ قولاً من الصنف الأول؛ حيث جعلوا الآدمي نصفين: نصف لاهوت: وهو روحه، ونصف ناسوت: وهو جسده، فنصفه رب ونصفه عبد"؛ (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٢٢/٤).

وذهب أهل العلم من السلف والخلف إلى أن الروح مخلوقة مبتدعة، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي أن يُخالف فيه، ويدل على ذلك أمور، منها:

أولاً: الكتاب والسُّنة:

أ- قال تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الرعد: ١٦]، [الزمر: ٦٢].

يقول شارح الطحاوية عقب استدلاله بهذه الآية: "فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه عام".

ب- وقال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان: ١].

ج- وقال تعالى لزكريا عليه السلام: {وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا} [مريم: ٩].

والإنسان مركب من روح وبدن، وخطاب الله لزكريَّا لروحه وبدنه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في "مجموع الفتاوى" (٢٢٢/٤):

الإنسان عبارة عن البدن والروح معًا، بل هو بالروح أخص منه بالبدن، وإنما البدن مَطيَّة للروح، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "إنما بدني مطيتي، فإن رَفقتُ بها بلَّغتني، وإن لم أرفق بها لم تبلغْني".

وقد روى ابن مَنده وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لا تزال الخصومة يوم القيامة بين الخلق حتى تختصم الروح والبدن، فتقول الروح للبدن: أنت عملت السيئات، فيقول البدن للروح: أنتِ أمرتني، فيبعث الله ملَكًا يقضي بينهما فيقول: إنما مثلكما كمثل مُقْعَد وأعمى دخلاَ بستانًا، فرأى المُقعَد فيه ثمرًا معلقًا، فقال للأعمى: إني أرى ثمرًا ولكن لا أستطيع النهوض إليه، وقال الأعمى: لكني أستطيع النهوض إليه، ولكني لا أراه، فقال المقعد: تعال فاحملني حتى أقطفه، فحمله وجعل يأمره فيسير به إلى حيث يشاء فقطع الثمرة، قال المَلَكُ: فعلى أيهما العُقوبة؟ قالا: عليهما جميعًا، قال: فكذلك أنتما".

د- ومما يدل على أن الروح مخلوقة:

أن الأرواح تُقبض وتُوضع في كفن وحَنوط تأتي بهما الملائكة، ويُصعد بها وتُنعَّم وتُعذَّب، وتُمسك في النوم وتُرسل، وكل هذا شأن المخلوق المحدث.

ه- لو لم تكن مخلوقة مربوبة لما أقرت بالربوبيَّة، وقد قال الله للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد، وهم في عالم الذَّرِّ: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى}، وذلك ما قرره الحق في قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف: ١٧٢].

وما دام هو ربهم فإنهم مربوبون مخلوقون.

و- لو لم تكن الأرواح مخلوقة، فإن النصارى لا لوم عليهم في عبادتهم عيسى عليه السلام، ولا في قولهم: "إنه ابن الله" أو "هو الله".

ز- لو كانت الروح غير مخلوقة، فإنها لا تدخل النار ولا تُعذَّب، ولا تُحجب عن الله، ولا تُغيَّب في البدن، ولا يملكها ملكُ الموت، ولما كانت صورة توصف، ولم تحاسب ولم تُعذَّب، ولم تتعبد ولم تخَف، ولم تَرْجُ، ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ، وأرواح الكفار سود مثل الفحم"؛ (انظر القيامة الصغرى لعمر سليمان الأشقر).

ثانيًا: الإجماع:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "روح الآدمي مُبدَعَة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السُّنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غيرُ واحد من أئمة المسلمين، مثل محمَّد بن نصر المروزي (الإمام المشهور الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم)، وكذلك أبو إسحاق بن شاقلًا، وأبو محمد بن قتيبة، وكذلك أبو عبدالله بن منده في كتابه "الروح والنفس"، والشيخ أبو يعقوب الخراز، وأبو يعقوب النَّهرجوري، والقاضي أبو يعلى وغيرهم؛ (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/٢١٦).

* شبهات الذين زعموا أن الروح غير مخلوقة والرد عليهم:

الشبهة الأولى: قالوا: مما يدل على أن الروح غير مخلوقة، قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥].

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: أن الروح هنا ليست روح الآدمي، وإنما هو اسم ملك، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا} [النبأ: ٣٨]، وقال: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: ٤]، وقال: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم} [القدر: ٤].

وهو قول معروف مشهور عند علماء السلف في تفسير هذه الآية.

الثاني: وإذا قلنا: إن المراد بالروح هنا روح الآدمي - كما هو قول جمع من علماء السلف في الآية - فليس فيها ما يدل على أن الروح غير مخلوقة، وأنها جزء من ذات الله، كما يقال: هذه الخِرقة من هذا الثوب، بل المراد أنها تُنسب إلى الله، لأنها بأمره تكونت، أو لأنها بكلمته كانت، والأمر في القرآن يذكر ويراد به المصدر تارة، ويراد به المفعول تارة أخرى، وهو المأمور به، كقوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النحل: ١]؛ أي المأمور به، ويمكن أن يقال أيضًا: إن لفظة {مِنْ} في قوله: {مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [الإسراء: ٨٥]؛ لابتداء الغاية، ومعلوم أن "مِنْ" تأتى لبيان الجنس، كقولهم: "باب من حديد"، وتأتى لابتداء الغاية، كقولهم: "خرجت من مكة".

فقوله: {مِنْ أَمْرِ رَبِّي} ليس نصًّا في أن الروح بعض الأمر أو من جنسه، بل هي لابتداء الغاية؛ إذ كونت بالأمر، وصدرت عنه، وهذا معنى جواب الإمام أحمد - رحمه الله - في قوله: {وَرُوحٌ مِنْهُ} [النساء: ١٧١] حيث قال: {وَرُوحٌ مِنْهُ} يقول: من أمره كان الروح، كقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ} [الجاثية: ١٣]، ونظير هذا أيضًا قوله تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣].

فإذا كانت المسخرات والنعم من الله، ولم تكن بعض ذاته، بل منه صدرت، لم يجب أن تكون معنى قوله في المسيح: {وَرُوحٌ مِنْهُ} [النساء: ١٧١] أنها بعض ذاته؛ (راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/٢٢٦-٢٣٥).

الشبهة الثانية: قوله تعالى في آدم عليه السلام: {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: ٢٩]، وقوله في مريم عليها السلام: {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} [الأنبياء: ٩١].

فقالوا: فقد أضاف الله الروح إلى نفسه.

والجواب عن هذا كما قال شارح الطحاوية رحمه الله: "ينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان: الأول: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

الثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، كقوله: {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس: ١٣]، وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١]، وقوله: {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ} [الحج: ٢٦]، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضى تخصيصًا وتشريفًا، يتميَّز بها المضاف إلى غيره"؛ (شرح الطحاوية: ص ٤٤٢).

س: ما هي أنواع النفس؟

أخبرنا الحق تعالى أن النفس ثلاثة أنواع:

النفس الأمارة بالسُّوء: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: ٥٣].

والنفس اللَّوامة: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: ٢].

والنفس المطمئنة: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٢٧-٣٠].

وليس المراد أن لكل إنسان ثلاثة نفوس، وإنما المراد أن هذه صفات وأحوال لذاتٍ واحدة، فإذا غلب على النفس هواها بفعلها للذنوب والمعاصي فهي النفس الأمَّارة بالسوء، والنفس اللوَّامة هي التي تذنب وتتوب، سميت لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولأنها تتلوَّم؛ أي: تتردد بين فعل الخير والشر، والنفس المطمئنة هي التي تُحب الخير والحسنات وتريدها، وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خُلقًا وعادة وملكةً؛ (رسالة العقل والروح لابن تيمية).

وقال شارح الطحاوية - رحمه الله - بعد أن ذكر أنواع النفوس: "والتحقيق: أنها نفس واحدة لها صفات، فهي أمَّارة بالسُّوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوَّامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة"؛ (شرح الطحاوية: ص ٤٤٥).

س: هل تموت الروح؟

ج: تعرَّض شارح الطحاوية لهذه المسألة، فقال: واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟

فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: ٢٦]، وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلَّ على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يدخلها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب.

وقد قال تعالى عن أهل الجنة: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد"؛ (شرح الطحاوية: ٤٤٦).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في "مجموع الفتاوى" (٢٧٩/٤): الأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تُعاد الأرواح إلى الأبدان"؛ اهـــ.

وقد دلَّ على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد"؛ (شرح الطحاوية: ٤٤٦).

وقال النووي – رحمه الله – معلقًا على حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الشهداء، والحديث في "صحيح مسلم" وفيه: ((أرواحهم في أجواف طير خُضر، لها قناديل مُعلَّقة بالعرش، تَسْرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل)).

فقال النووي – رحمه الله – قال القاضي عياض: "إن الأرواح باقية لا تفنى، فينعَّم المحسن، ويُعذَّب المسيء، وقد جاء به القرآن والآثار وهو مذهب أهل السُّنَّة.

س: كيف نوفِّق بين الأحاديث التي تدل على أن الروح تُعاد إلى البدن للحساب؟ وبين الأحاديث التي فيها أن أرواح المؤمنين في الجنة وأن أرواح الكفار أو الفجار في النار؟

ج: جمع شيخ الإسلام ابن تيمية بين النصوص كما في "مجموع الفتاوى" (٢٤٧/٥) فقال: "وأرواح المؤمنين في الجنة، وإن كانت مع ذلك تُعاد إلى البدن، كما أنها قد تكون في البدن، ويُعْرَج بها إلى السماء كما في حال النوم، أما كونها في الجنة ففيه أحاديث عامَّة، وقد نصَّ على ذلك أحمد وغيره من العلماء، واحتجوا بالأحاديث المأثورة العامة، وأحاديث خاصة في النوم وغيره، وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة والذي يذكر فيه: "أن المؤمن يَرى بعد السؤال مقعده من الجنة ومقعدَه من النار لو كان كافر أو فاجرًا، قال: ((ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويُنوَّر له فيه، ويُعاد جسده كما بُدِئ، وتجعل نسمته في نسَم طيِّب، وهي طير تعلق في شجر الجنة))، وفي لفظ: ((وهو طير يعلق في شجر الجنة)) وفي لفظ: ((ثم يُعاد جسده إلى ما بدئ منه))؛ اهـــ.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر في "القيامة الصغرى" (ص١١١): "فالروح كما يدل عليه الحديث تُعاد إلى الجسد بعد الرِّحلة إلى السماء، ثم تُسْأَل، ثم تكون طيرًا يعلق بشجر الجنة إلى أن يُبْعَث العباد، ومع كونها في الجنة فإنه يبقى لها تعلُّق في الجسد، كحال الإنسان في النوم، فإنها تجول في ملكوت السموات والأرض، مع أن لها تعلقًا بالجسد، وفقه هذا مبني على معرفة أن الروح مخالفة للأجساد وللمعهود من حال المخلوقات الدنيوية".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في "مجموع الفتاوى" (٣٦٥/٢٤): "ومع ذلك تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى، وهي في تلك اللحظة بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم"؛ اهـــ.

* احذر هذه القصة؛ فإنها مُختَلَقة مُفْتَراة:

قصة رؤية العباس – رضي الله عنه – منامًا لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعد عام من وفاته وقول عمر له: "هذا أوان فراغي".

قال أبو حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين": قال العباس رضي الله عنه: "كنت ودًّا لعمر، فاشتهيت أن أراه في المنام، فما رأيتُه إلا عند رأس الحَول، فرأيته يمسح العرَق عن جبينه، وهو يقول: هذا أوان فراغي، إن كان عرشي ليهد لولا أني لقيته رؤوفًا رحيمًا"؛ (إحياء علوم الدين: ٥٣٩/٤).

هذه قصة باطلة ذكرها الغزاليُّ في "إحياء علوم الدين" بلا سند، وهذا المتن باطل؛ إذ كيف يُتَصَوَّر أن الفاروق عمر – رضي الله عنه – الذي قال فيه وفي أبي بكر – رضي الله عنه – النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((هذان من الدين السمع والبصر))؟!

كيف يُتَصور أنه لا يفرغ من حسابه إلا بعد عام كامل؟! إذًا فما يُفعل في بقية الأمة؟!

فذِكْر هذه القصص وأمثالها يُسيء إلى قدر الصحابة وعلو مكانتهم.

ورحم الله من قال: "لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".

فننبه إخواننا إلى قصص القُصَّاص التي تنال من فضل الجبال.

وبعد:

فهذا آخر ما تيسَّر جمعُه في هذه الرسالة، نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثَمَّ خطأ فاستغفر لي.

إِنْ تَجِدْ عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلَا = جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

فاللهمَّ اجعل عملي كلَّه صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعلْ لأحد فيه نصيبًا.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا، والله تعالى أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.